الدّرُ المنثورُ مِنْ عطرِ سيرة الرسولِ صلى الله عليه وسلم

(الفترةُ المكيةُ فَ الهجرةُ المباركةُ)

نصير حسين

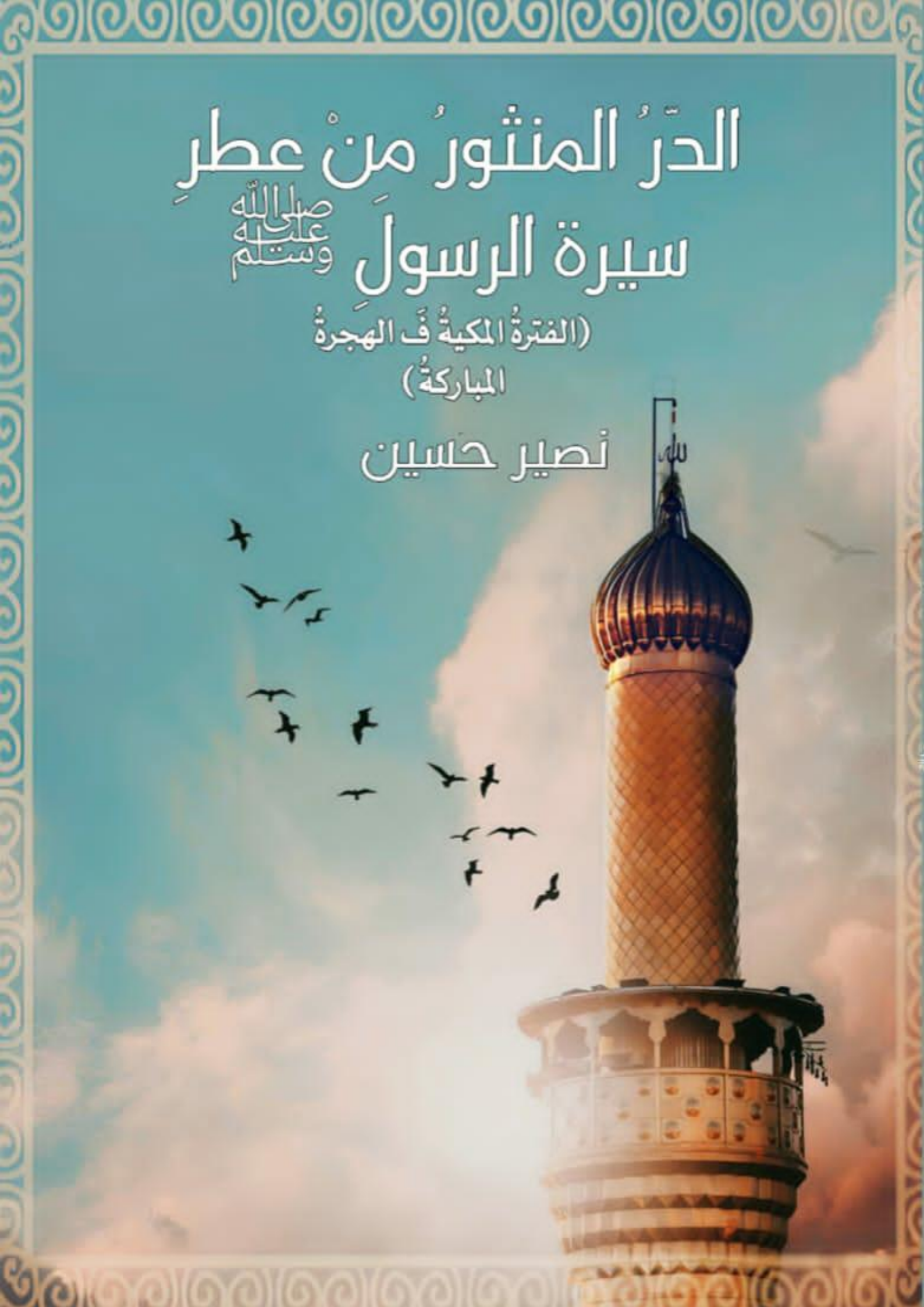

نوع العمل : كتاب

الكاتب / الكاتبة : نصير حسين

تصميم الغلاف : أسماء فرغل

تصميم داخلي : غادة عبد الرحمن

تعبئة وتنسيق : مها الجندي

تدقيق لغوي : ندى الجندي

فريق عمل بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

تحت إشراف:

غادة عبد الرحمن &دينا عبد الفتاح

تذكر أنك قرأت هذا على موقع

دار بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

كتب دار بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

انشر معنا على الموقع وتواصل معنا مباشرة

«««للنشر والإعلان والتواصل معنا اضغط هنا»»»

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

الدُّر المنثورُ من عطرِ

سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

(الفترة المكية و الهجرة المباركة)

محمد حسين

هذا الكتابُ وقفٌ على روح أمي -رحمها الله- أسألكم الدعاءَ لَها بالرحمةِ والغفران.

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد للواحد القهار الملك الجبار، الهادي إلى سبيل الرشاد، المنجي من الضياع والفساد، والمنعم على عباده، الشهيد عليهم بديع السموات والأرض، الذي خلق آدم من تراب، وجعل إبراهيم خليله، ومن ذريته إسماعيل رسوله، وجعل من نسل إسماعيل محمدًا شاهدًا ونبيًا ورسولاً، وفضله على العالمين تفضيلاً.

اللهم صلِّ وسلم على من بعث بالهدى للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين محمد الأمين، قائد سفينة النجاة التي مَن استقر في جوفها وصل بر الأمان، ومن أبى فاز بالخسران والخذلان، والتأبيد في النيران.

أما بعد:

فلستُ الأول، ولن أكون الأخير ممن يسعون لنيل شرف الكتابة عن سيرته العطرة، وما جئتُ بهِ لا يحتاج لبليغ كلام أو تراقص على العبارات، وتحايل على النصوص والكلمات، أو لي عنق الحديث للوصول إلى الغاية والمرام.

سأتكلم عن سيد البلغاء، قائد الأشداء بطل الأبطال، الشهم الهمام، الطاهر المطهر، والأسد المظفر، والعلم الذي في

رأسه نور سطع وانتشر، فهُدي به من اتبع وسقط في غياهب الضلال والهلاك من لنوره منع.

دانت برسالته الأمصار، وفتحت بنور دعوته الأقطار؛ دخل الناس بنصر الله سبحانه له الجنة أفواجًا، وانحدر في جهنم من خالفوه أسرابًا.

لن أقول: أنا أكتب عن الحقيقة، فشمس الحقّ بنور هديه أنارت وأضاءت.

لن أقول: إني أكتب عن التاريخ، فتاريخنا بهِ عُرف وببطولاته طرز وعطر.

لن أقول: بسردي للأحداث عنه سأُعَرِفُ، بل باسمه أنا من سيعرف.

عن قائد الغر المحجلين، عمّن بعث رحمة للعالمين، عمّن أنار ظلمات العالم بدعوته كلامنا، وفي سيرة خير الأنام رحلتنا، سنفرد الشراع وننطلق ومن نهر النبوة العذب شهدًا ننتهل، ومن صادق الأخبار نرتشف حتى ترتوي أرواحنا وتزدهر.

تنويه:

إن الدوافع التي حدت بركبي لكتابة وتأليف هذا الكتاب - الذي أحسبه عند الله مباركًا طيبًا- كثيرة، بل أكثر من أن تحصى، إلا أني أكتفي بثلاثة منها:

الأولى: نصرة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحقيقة الأمر أنا أنصر نفسي بنصرتي لحبيبي المصطفى خليل الرحمن -صلى الله عليه وسلم-.

الثانية: إني أرجو أن يكون هذا الكتاب في صحائف أعمالي، وأعمال كل من يساهم بنشره يوم الموقف العظيم، وأقول لله سبحانه يومها: يا ربّ، إني كتبته تقربًا إليك، وطاعة لك، وحبًا لمن أحببته، واصطفيته على العالمين ليحمل خير رسالة وأعظم دين.

الثالثة: إذا كتب الله -تعالى- لي برحمته دخول الجنة وفزتُ بزيارة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الفردوس الأعلى، والجلوس معه أن أخبره أني أحد الذين نالوا شرف الكتابة في سيرته العطرة.

بُعثتَ للورى خير مبعث فأخرجتنا من أجداثِ الجهل والظلماتِ

النسبُ الشريف

في أول القول أقول: سأسير كما سار معظم أهل السير في ترتيب الفصول والأحداث، وأبدأ بتقديم نسبه الشريف، ففيه فوائد جمة، فهناك من لا يعرف اسم أبيه أو جده -صلى الله عليه وسلم- لا تستغرب، هذا واقع نعيشه ملموس، فكثير من شباب الأمة اليوم يحفظ أسماء الفنانين والفنانات، واللاعبين واللاعبات، ولا يعرف من اسم نبيه سوى محمد -صلى الله عليه وسلم-.

إنّ النسب النبوي؛ نسبٌ شريفٌ يتصل بأبي الأنبياء إبراهيم الخليل، وبعده بأبي العرب المستعربة إسماعيل بن إبراهيم الذبيح الأول -عليهما السلام-.

نسبه -صلى الله عليه وسلم- حتى إبراهيم أبو الأنبياء - عَلَيْهِ السَّلَام-.

هو بأبي وأمي ونفسي والعالم أجمع:

محمد: وهو اسم مشتق من الحمد والثناء؛ أي: الحمد على الشيء بالفضيلة، بشرط أن تكون الفضيلة من كسبه بخلاف المدح، فيكون فيه وفي غيره، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- محمود بهذا الاسم على فضائله المكتسبة.

بن عبد الله: وهو أصغر أولاد عبد المطلب، وأحبهم إليه.. ستأتي معنا قصته إن شاء الله.

بن عبد المطلب: اسمه شيبة، وسبب تسميته بهذا الاسم: هو أنَّه ولد وفي رأسه شيبة، وقد عاش عبد المطلب أربعين ومائة من السنين.

أما سبب تسميته عبد المطلب هو: أنه بعد بلوغه السابعة من عمره وهو عند أخواله بني عُديّ بن النجار، وكان يعيش هناك مع أمه بعد موت أبيه هاشم في غزة، جاء عمه المطلب بن عبد مناف وأخذه ليعيش في كنفه وبين قومه، فلما دخل المطلب مكة وخلفه شيبة كانت هيئته رثة، فقال الناس هو عبد للمطلب اشتراه. وفي تاريخ الطبري قال: "... إن المطلب لما أتى بشيبة كان قد أردفه خلفه على جمل، فإذا لقيه اللاقي وقال له: مَن هذا يا مطلب؟ قال: عبد لي، فسمي عبد المطلب" (1).

بن هاشم: اسمه عمرو، وسمي هاشمًا لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سني الجدب، وهو أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد أبيه.

بن عبد مناف: اسمه المغيرة، أي: إنه مغير على الأعداء، وكان يلقب بـ(القمر)، لشدة جماله، وذهب به الشرف كلّ مذهب، أي: كان عظيم الشرف.

بن قصي: اسمه زيد، وهو مَن لملم شمل قريش وأزاح خزاعة عن البيت الحرام وأجلاهم عن مكة، وأعاد الحقّ إلى نصابه.

بن كلاب: اسمه حكيم، ولقب بكلاب لحبه الصيد، وهو أول من حلى السيوف بالنقد (الذهب والفضة).

بن مرَّةَ: كنيته أبو يقظة، ومرَّة منقول من وصف الحنظل والعلقم، وهو النبات المعروف.

بن كعب: هو منقول من كعب القدم وكنيته؛ أبو هصيص؛ والهصيص شيء مقبوض عليه بالأصابع شديدًا، وهصيص النار تلألؤها.

بن لؤي: هو تصغير "اللأي" الثور الوحشي.

بن غالب: الغالب هو الفائز، والمنتصر، والمتفوق على غيره.

بن فهر: الفهر من الحجارة، وفهر: هو قريش، وكلّ مَن ينتسبُ لقريش يرجع إلى فهر.

بن مالك: كنيته أبو الحارث.

بن النَضــر: اســمه قيس، ولقب بالنضــر لنظارة وجهه وجماله.

بن كنانة: الكنانة هي وعاء الســهام المصــنوع من الجلد، وســمي كنانة بهذا الاســم؛ لأنُّه كان ســترًا على قومه كالكنانة التي يصان بها النبل لعظم قدره.

بن خزيمة: كنيته أبو أسد.

بن مدركة: اسمه عامر، وكنيته أبو هذيل، وسبب تسميته مدركة: أنّ أيلاً لهُ نفرت، فخرج إليها، فأدركها، وفي كتاب جمهرة النسب: "أنّ إيلاً لأبيه إلياس نفرت، فخرج إليها فأدركها فسماه أبوه مدركة، وقال صاحب الجمهرة: أن مدركة اسمه عمرو" (2).

---

(1) تاريخ الطبري – ٢ / ٢٤٦ ـ ٢٥١

(2) جمهرة النسب لابي المنذر الكلبي – ٢٠

ينظر: الروض الأنف ـ ١/ ٢٣ ـ ٢٥

ينظر: الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ - ٣٤

ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي – ١/ ٤٧٩

بن إلياس: على وزن (إفعال)، من "رجل أليس" شجاع لا يفر، وإلياس أول مَن أهدى البدن للبيت العتيق.

بن مضر: سمي بهذا الاسم لبياضه وهو أول من سن للعرب حُداء الإبل، أي: نداؤها لتقدم على راعيها.

بن نزار: سمي بهذا الاسم؛ لأنه كان فريد عصره، فـ(النزار)، من النزر، أي: الشيء القليل.

بن عدنان: وعدنان بن أدَد وهو من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

النذر:

في أواخر القرن الســـادس الميلادي، وفي قلب جزيرة العرب، وتحديدًا عند البيت العتيق وقف ســـيد قومه أمام أكبر الأصنام التي كانت تُعبد، وصاح بصوت عالٍ معلنًا للملأ من سادة وأشراف قريش عن أمر عظيم.

النذر.. أجل، نذر عبد المطلب بن هاشـــم بن عبد مناف سيد مكة.

تجمهر الجميع.. الكل يقف مرهفًا سمعه.

توقفت الحوارات، أجلت الصـــفقات، فعبد المطلب يتكلم، وأمام "هبل" الإله الأكبر، الصنم الأهم أعلن شيبة أنَّه قد نذر منذ زمن طويل إذما رزق بعشرة أبناء ذكور سوف ينحر أحدهم قربانًا للآلهة.

الصـدمة والذهول، والعجب مما يقول أخرسـت الألسـن، وأبقت العيون تحدّق والقلوب في وجل وترقب تخفق.

كعادة العرب في ذلك الزمان ضـربت القرعة بين الذكور العشـــرة، فلعبد المطلب زوجات عدة وأبناء ذكور وإناث كثر.

لم تثنهِ محاولات سـادة القوم والأشـراف العدول عمّا يروم.. كيف وهو العربي الأصيل صاحب القدر الكبير، ومن العار ألا يبر بنذره، ويرضي آلهته التي إن غضبت ستمحق ذريته وتهلك أموالهم حسب اعتقاده.

وقف الأبناء حول الأب بهدوء يلبون أمر والدهم أمام إلههم الحجري.

ضربت القداح، وهزت الرماح التي كتب على كلّ واحد منها اسم أحد الأولاد.. هزت وهزت، ثم زمجرت، بعدها سحب أحدها ليظهر مَن سيكون الذبيح حتى يبر الأب بنذره، ويستقر أمره.

العيون تراقب والقلوب ترتجف.

خرج السهم وعليه مكتوب الاسم، وأعلن من عليه الوسم؛ إنُّه عبد الله.. أجل، عبد الله بن عبد المطلب من زوجته فاطمة بنت عمرو المخزومية القريشية.

عبد الله شقيق الزبير وعبد مناف المُكنى بأبي طالب وشقيق البنات: أروى، وأميمة، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء.. إنُّه أصغر أبناء أمه، وأقربهم إلى قلب أبيهِ.

رغم موضع المختار من قلب الأب لم يفت ذلك من عضده.. تحرك الأب والابن البار إلى حيثُ "إساف

ونائلة" صنما قريش ليوفي بنذره، لكن قلب الأب مشتعل بنار تلظى؛ كأيّ والد في مثل هكذا موقف.

هنا صرخ صوت العقل، انطلق مجلجلاً على لسان بعض أشـراف القوم مسـتنكرين ما يريد أن يقع، محاولين ثني سيدهم عن الفعل، وكانت حجتهم معقولة مقبولة، إذ قالوا: كيف تذبح ابنك إيفاء بنذرك! وتجعله قربانا لآلهتك وأنت كبير القوم وسيدهم؟! إن فعلتَ ستسري فعلتكَ سنة فيهم ويصـير فلذات الأكباد قرابين لكلّ مَن لهُ غاية ثمينة، إنّه والله شيء مشينٌ!

عاضـد أبناء شـيبة بن هاشـم القول الرشـيد، لكن من كان عليه الاختيار لم ينطق أو يعترض، بل كان مثال الابن الطائع الذي لا يخرج عن طوع الوالد.

تكلم أحد الحكماء بكلام العقلاء، فقال لعبد المطلب: "في الحجاز عرافة عارفة ولها قرين، فاذهب إليها واعرض عليها الأمر، ثم انظر ماذا تأمر، فإن قالت اذبح، فاذبح، وإن أشارت بغير ذلك فعلتَ وأفلحتَ".

لم يضـيع الوالد المتشـوق لإنقاذ فلذة الكبد الوقت؛ انطلق يبحث عنها، وفي خيبر وجدها، فقص القصة عليها.

قالة العرافة: "اذهب اليوم، ثم عد غدًا حتى يأتيني تابعي وأرى".

عبد المطلب يدعو ويتضـــرع، وكعادة العرب القدامى عندما يداهمهم أمر جلل يتجردون من شـــركهم وينبذون اللجوء إلى أصـــنامهم، فيصـــمدوا إلى الخالق بالدعاء والرجاء والاستغاثة حتى يحصل المراد، ثم ينكصون على أعقابهم ويحتضنون شركهم.

في اليوم الثاني اجتمع القوم عند العرافة (قُطبَةُ)، في الموعد ينتظرون الخبر لحسم الأمر مهما كان مرّ.

قالت قُطبَةُ: "قد جاءني الخبر، لكن أخبروني كم دية الرجل عندكم؟".

أجابوا بأنها عشر من الإبل.

قالت: "ارجعوا إلى بلدكم، ثم قربوا صـــاحبكم -عبد الله- وقربوا عشر من الإبل واضربوا القداح بينهما، فإن خرج باسم صاحبكم زيدوا عشر أخرى، واضربوا القداح مرة ثانية واستمروا في ذلك حتى ترضى آلهتكم، ثم انحروها جميعًا".

انطلق الجميع مستبشرين يسابقون الريح، وعند هبل بدأ ضرب القداح وقدمت العشرة تلو العشرة حتى بلغت مائة

فخرج السهم باسم الإبل لصالح عبد الله. تهللت الوجوه، وتعالت الكلمات، وأشرق الفرح من بين عيني عبد المطلب، لكنَّهُ فاجأ الجميع بقوله حين قال: لا أقبل حتى تعاد القداح ثلاثًا لأعرف أن الآلهة قد قبلت.

على الفور أعيد ضرب القداح دون أيّ تأخير أو اعتراض، وفي الثلاث مرات خرجت لصالح الذبيح عبد الله.

نحرت الجزور وعمت الفرحة، وأعطيَ الأمر؛ ألا يمنعَ عن الذبائح بشر أو سبع.. كلّ مَن أراد أن يأخذ من اللحم والشحم والأسنمة والأكباد، فحيّا هلا.

نجى عبد الله بن شيبة بن هاشم.

---

(1) ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٤٦

الزواج الميمون

ها قد بلغ عبد الله الخامسة والعشرين ربيعًا من عمره؛ شاب طيبة أخلاقه، حسن خَلقه، من أشرف شباب قريش نسبًا.

قرر عبد المطلب إتمام فرحته بتزويج فلذة كبده، فلم يجد له خيرًا من خير الفتيات في قريش؛ الحسبية النسيبة ابنة سيد بني زهرة، القريشية آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فهي سليلة نسب طيب من جهة الأب والأم، فأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار القريشية.

تم زواج سيد شباب قريش من سيدة فتياتها، وعمت الأفراح.

مكث الشاب عند زوجه أيامًا، ثم انطلق في تجارة لقريش إلى غزة في الشام، وبقيت الزوجة السعيدة تنتظر زوجها متجملة بالصبر والأمل بسرعة العود.

تاجر الشاب وباع واشترى وحقق الأرباح، ثم عاد مسرعًا يود أن يسابق الرياح، وعند وصوله يثرب أصيب بمرض أقعده ومنعه من المواصلة، فبعث القافلة قبله على أمل البُرء من المرض، ثم الالتحاق بها بعد ذلك.

التمارض في يثرب كان عند أخوال الأب بني عدي من بني النجار الطيبين الأخيار.

استمر المرض وثقل واشتد ومضى على الرقود شهر، فقلقت القلوب وتوجلت النفوس.

الزوجة خائفة قلقة على الزوج وقلبها وجل وجسدها هو الآخر متعب مرهق بسبب الحمل.

عبد المطلب هو الآخر استعر قلبه خوفًا على الغالي.

لم يطل القلق والانتظار، فالخبر قد وصل: عبد الله مات صريع مرضه، ودفن في دار النابغة عند أخوال الوالد.

الحزن خيم على الجميع، فالفاجعة موجعة مفاجئة، وأرخى الألم سدوله فوق الرؤوس وشُرِبَ الوجع كؤوسًا، فانثالت من الزوجة المفجوعة أروع المراثي وأحسنها:

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم •••• وجاور لحدًا خارجًا في الغماغم

دعته المنايا دعوة فأجابها •••• وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره •••• تعاوره أصحابه في التزاحم

فإن تلك غالته المنايا وريبها •••• فقد كان معطاء كثير التراحم

مات عبد الله وخلف لزوجته خمسة؛ جمال وغُنيمة وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن.

فتمنطقت آمنة بالصبر وتوشحت بالأمل في الوليد المنتظر وراحت تقف شامخة في وجه الأيام دون أن تنكسر. وكذلك عبد المطلب سلواه كانت بعد فقده الغالي عد الأيام في انتظار ابنه.

ينظر: الروض الأنف - ١/ ٢٨٣

ينظر: إسعاد البرية - ٢٢

المولود المبارك

مضت الأيام وما من سلوى للشابة آمنة والشيخ عبد المطلب تبعد عن قلبيهما ألم فراق عبد الله إلا انتظار من سيرى النور قريبًا ، والأماني أن يكون خلفَ خير للسلف العزيز، وتطيب برؤياه النفوس وتقر العيون.

وفي يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من عام الفيل الموافق إحدى وسبعين وخمسمائة للميلاد؛ ذلك العام الذي هلك فيه الطاغوت إبرهة الحبشي وجيشه الغازي عندما قدموا لهدم البيت العتيق، فأهلكهم الله بحجارة حادة من جهنم تحملها طير كثيرة، فكان ذلك النصر مثار فخر لقريش والعرب عامة ولعبد المطلب خاصة، فهو من تصدر للطاغوت بكلّ ثبات، وقال بيقين صادق حينها: "للبيت ربّ يحميه".

نعود للحدث الأهم الذي شغل الأم.. جاءت اللحظات المنتظرات ولم يطل الأمر كما عند باقي النساء.

وصل المنتظر ورأى أول شعاع نور واستنشق أول دفعة هواء، فاستبشرت الوجوه وأنارت عند رؤياه، فهو صبي وليس ككلّ الصبية، قمر في ليلة تمامه في هيئة إنسان!

طارت البشرى إلى الجد، فسابق الريح ليرى الحفيد.

التقى الماضـــي بالحاضـــر الحامل للمســـتقبل، فحمله الماضـي وكان بهِ مغتبطًا سـعيدًا، كيف لا والمولود ذكر لا نقص فيهِ، ولم يشنه ما يعاب.

انتشـــر الخبر في مكة كما ينتشـــر العَرف في الأجواء، فاستبشر البعيد وفرح القريب.

في اليوم الســـابع من مولد ابن عبد الله قام عبد المطلب بختان حفيده مقتديًا بسنة أبيه إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلاَم- وذبح ثم دعا قريشًا.

أكلت الناس وشـــربت من غديرة ابن ابن عبد المطلب حتى امتلأت البطون، وجاء وقت الكلام والسؤال كالعادة، ســـأل أحدهم ســـيدهم: "يا كبيرنا، أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، ما سميته؟".

أجاب الكبير: "محمد".

علا الاســتغراب والتعجب الوجوه، فرد الســائل بســؤال آخر ليزيل عنه اســـتغرابه: "ما رغبكَ عن أســـماء أهل بيتك؟!".

قال الجد: "أردتُ أن يحمده الله في الســـماء، وخلقه في الأرض،.

"صـدقتَ عبد المطلب، فسـيجمع حفيدكَ -صـلى الله عليه وسلم- كلّ صفات الخير".

لعلي أنتقل بكم أيّها الأحبة في عجالة إلى يثرب فقد حدث في يوم مولـد ابن عبـد الله أمر هـام حيـثُ خرج يهوديًـا يصـــرخ بأعلى صـــوته على مكان مرتفع في يثرب: "يا معشر يهودا".

حتى اجتمعوا إليه قالوا له: "ويلك، مالك؟!". قال: "طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد فيهِ".

ينظر: السيرة النبوية لابن كثير ١٩٨/١ – ٢١١

ينظر: إسعاد البرية - ٢١

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

إلى حضن حليمة

اتّخذ القرار الهام؛ استرضاع الصبي في البادية حاله كحال أبناء أشراف قريش خاصة والعرب عامة الذين يقطنون الحواضر ليعيش أبناءهم في بيئة نقية، فينهلوا من فصيح الكلام ويَشربوا بقوة الأبدان بعيدًا عن المدن التي تكثر فيها الأمراض ويزورها مَن للسانه مِن اللحن ليس بحافظ، فتدريب اللسان على الفصاحة غاية الغايات والأجسام القوية من أهم الأولويات، ورغم ألم الفراق ولوعة الاشتياق إلا أن الأمر لا بد منه لمن أراد لابنه الحصافة والنبوغ وشدة العود والشموخ.

كان القرار إيداع الرضيع محمد بن عبد الله لدى إحدى المراضع اللائي سيقدمنَ من إحدى البوادي المعروفات المشهورات.

لكي لا أطيل الكلام إليكم أيها الأحبة القصة كاملة على لسان حليمة ابنة أبي ذؤيب بن مناف من بني سعد بن بكر.

تقول حليمة: "خرجت من بلدي -بني سعد في البادية- مع زوجي -زوج حليمة اسمه: الحارث بن عبد العزى بن رفاعة من بني سعد- وابن صغير أرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ألتمس الرُضعاء وذلك في سنة شهباء -

أي: سـنة قحط وجدب - لم تبق لنا شـيئًا، فخرجت على أتان لي قمراء - أي: حمارة شديدة البياض- ومعنا شارف لنا -الشـارف هي الناقة المسـنة- والله لا تبض بقطرة - ليس فيها حليب- وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه وكنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك فلقد أدَمتُ بالركب -أي: أطلت عليها المسـافة- حتى شـق ذلك عليها ضـعفًا وعجفًا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء".

"أرجو أن تعذروني على المقاطعة إلا إني أريد تبين أمرين هامين، فاسمحوا لي وشكرًا لكم أيها الأحبة":

الأمر الأول: الرضـاعة بأجر عند العرب أمر مذموم بل غلظ في ذمـه الكثير منهم واسـتنكره، لكنّ الظروف الطارئة تبيح المحظور والمسـتقبح إذا كان فيه جلب مصـلحة تحفظ حياة الإنسـان، فما مر به بنو سـعد من جدب وقحط أجبرهم على البحث عن الرضـعاء بأجر أما في سـني الخير والأمطار لا يتقاضـون أجرًا من أهل الرضعاء.

والأمر الثاني يا إخواني: اصـطفاء الله سـبحانه لحليمة السعدية دون غيرها من نساء قومها رغم حالها الضعيفة،

اصـــطفاها الواحد المنان لتكون ظئرًا لخليله، فقد كانت الســـعدية معروفة في قومها بالعقل الراجح والحكمة والرأي الحســـن وهي كريمة من كرائكم قومها. (الظئر يا أحباب: هي الأم بالرضاعة).

والآن نعود لنتابع قصة حليمة مع الرضيع اليتيم...

تقول حليمة الســـعدية: فما منا امرأة وقد عرض عليها محمد بن عبد الله، فتاباه إذا قيل لها إنه يتيم، فذلك إنّا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضـــيعًا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنَّهُ.

قال: لا عليكِ أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

قالت حليمة: فذهبتُ إليه فأخذته وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره.

"وأنا أقول: سبحان الله العظيم مسبب الأسباب ومقدر الأقدار إذا أراد أمرًا حرك له القلوب والجوارح وما راد عن أمره إلا هو ﷻ".

تكمل حليمة السعدية قائلة: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي وشرب معه أخوه - أي: ابن حليمة - حتى روي، ثم ناما وما كنّا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي إلى شارفنا، فإذا هي لحافل، فحلب منها وشرب وشربت معه حتى انتهينا ريًا، وحين أصبحنا قال لي الحارث: تعلمين يا حليمة، لقد أخذتِ نسمة مباركة.

أجابته الزوجة: والله إني لأرجو ذلك.

تكمل حليمة سرد قصتها: ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته معي عليها فو الله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم حتى إن صواحبي ليقلن: هذه أتانك التي كنتِ خرجتِ عليها؟!

فأقول لهنَّ: بلى والله إنها لهي هي.

فيقلن: إن لها لشأن.

تقول حليمة: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا بهِ معنا - أي: محمد بن عبد الله - شُباعًا لُبنًا، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون

لرعيانهم: ويلكم اســرحوا حيث يســرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شــباعًا لُبنًا، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضــت ســنتان وفصــلته - أي فطمت الرضــيع القريشــي عنها - وكان يشـب شـبابًا لا يشـبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا - والجفر ما انتفخ لحمه.

_.-._.-._.-._.-._.-._.-._.-._

قبل أن أطلعكم عن عودة حليمة الســعدية بالغلام إلى أمه آمنة وما سـيحصـل ويدور بينهما من كلام تعالوا أخبركم بأمر وآخر هام.

لم تكن حليمة الســعدية هي أول من أرضــعت حفيد عبد المطلب بعد أمه التي ولدته، بل قبلها أرضــعته ثويبة مولاة عمه أبي لهب من لبن ابنها "مسروح" وكانت تلك الرضـاعة قبل أيام من قدوم حليمة السعدية إلى مكة ونتج عن تلك الرضـاعة أخوة بين الأصـيل النسـيب الحسـيب وبين مســروح؛ وثويبة هذه أرضــعت حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن عبد الأســد (أبو ســلمة).. هذا أمر، والآخر الهام ما ترتب على ارضــاع ابن الأكرمين من أكثر من أم من أخوة، فصار حمزة العم أخًا له من جهتين من جهة ثويبة وحليمة التي كانت قبله قد أرضـعت حمزة

وصـار له إخوة أخر كما تقدم من جهة ثويبة وآخرين من جهة الســعدية وهم عبد الله بن الحارث وأنيســة وجذامة المعروفة بالشيماء.

ينظر: الروض الأنف ـ ١/ ٢٨٥ ــ ٢٨٨

ينظر: زاد المعاد ـ ١/ ٨١

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

حليمة والغلام إلى مكة

عزمت حليمة على إعادة الأمانة إلى أمها وهي شـــديدة الحرص على مكـث الغلام عنـدهم لمـا رأوا من خير عمهم، فلما وصـلت مكة واسـتقبلتها الأم الفرحة السـعيدة برؤية فلذة كبدها وضـياء عمرها وهنا دَلت حليمة بدلوها وطلبت من آمنـة ترك الغلام يعود معها ويمكث عندها حتى يغلظ ويشـــتد عوده، فهي كما أخبرت آمنة تخشـــى عليـه من وبـاء مكـة ومـا زالـت تحـاول اقنـاع الأم حتى حصـــلت على المراد وعادت بالغلام المحفود من ربّ العباد.

هكذا عاد الغلام مع أمه من الرضـــاعة ليحيا فترة أخرى في بادية بني سـعد ينتهل الفصـاحة ويشـتد عوده متميزًا بذلك عن باقي أقرانه في فترة مكثه والعناية به ورعايته، كيف لا وهو المتميز عند ربه والمختار لأمر لا قبل لبشر عليه غيره.

لم تكن موافقة آمنة بنت وهب يسيرة عليها، بل رغمًا عن رغبتها ببقاء وليدها، فهو فلذة الكبد ومهجة الروح الذي فيه السـلوى والعوض عمن رحل عنها إلى العالم الآخر، لكنه سبحانه قذف في قلبها الصبر، فآثرت

مصلحة الصغير سنًا العظيم قدرًا ومقامًا على مصلحتها، فتحملت ألم البعد المؤقت وخبزت خبز الصبر وأكلت.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام - ١/ ١٨٩

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

أمر عظيم

عاش الغلام المبارك محمد في بني سعد يرتشف الفصاحة وينبت جسمه قويًا معافى حتى بلغ السنة الرابعة من عمره.

فبينما كان الصبية يلعبون خلف بيوت لهم إذ جاء ابن حليمة والحارث يركض مسرعًا والخوف قد تملكه والفزع يصحبه قاصدًا أمه ليخبرها عما رأت عينه.

والأنفاس تضطرب مسرعة والقلب في الصدر صار كالطبل، قال الصغير: ذاك أخي القريشي قد أخذه رجلان عليهما ثيابًا بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانها.

كان رد الفعل سريعًا دون أي تأخير وحثت الخطى، فلما وصل الأب والأم من الرضاعة وجدا الابن القريشي قائمًا مصفر الوجه.

سألاه مستفسران عما حدث له، فكانت إجابته دون تلعثم أو تعثر: جاءني رجلان عليهما ثيابًا بيضًا فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئا لا أدري ما هو.

الكلمات واثقة صادقة ممن لم يُعرف عنه كلام الغلمان في التأليف والتخيل أو الكذب.

رجع الجميع إلى البيت، فعقد اجتماع عاجل بين الزوجين، فأعرب الحارث عن خشيته من أن يكون الغلام قد أصيب بمس من الجن واقترح على حليمة أن ترجعه إلى أهله قبل أن يظهر فيه مسه.

أيدت الزوجة المقترح وأكدت المخاوف، ثم انطلقوا في سفر سريع مستعجل قاصدين حاضرة العرب مكة لإعادة الأمانة مرة أخرى وأخيرة.

تعجبت آمنة أشد العجب عند ما أخبرتها حليمة برغبتها إعادة الغلام إليها وسألتها: ما أقدمك به يا ظئر؟ وقد كنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك.

حاولت حليمة ألا تخبرها بما حصل وأن تدعي أنها قضت ما عليها وتخوفت الأحداث عليه والحوادث، فجاءت به إلى الأم وهي تعلم مدى حب آمنة رده إليها لكن هي تتكلم مع مَن؟ مع آمنة الزهرية ابنة سيد قومه، الحصيفة.

لم تطل الكلام وقالت للظئر بحزم: أصدقيني خبرك.

مع ما رأته حليمة من إصرار الوالدة معرفة الحقيقة وأيقنت أن حجتها لم تكن مقنعة مليحة استسلمت حليمة وأخرجت ما في جعبتها من حقيقة.

أخبرت الخبر وأفصـــحت عن المخاوف التي اعترتها والأب، وبعد فراغها من الكلام بتفصـــيل وإتقان، قالت آمنة بلسـان صـادق وقلب واثق: أتخوفتِ عليه الشـيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لابني لشأن، أفلا أخبرك خبره؟

بلهفة أجابت حليمة ببلى.

قـالـت آمنـة: رأيـت حين حملـت بـه أنـه خرج مني نورًا أضاء قصور بُصرى الشام، ثم حملت به فو الله ما رأيت من حمل قط أخف ولا أيســـر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء.

هكذا عاد الغلام المبارك إلى الحضـن الأول إلى صـاحبة الوعاء الذي حواه تسـعة أشـهر إلى الحنان كله والرعاية ليحيا سعيدًا وتقر به عين الأم المتأيمة ويفرح به قلب عبد المطلب، كيف لا وهو عقب عبد الله الغالي عليه.

---

(1) ينظر: دلائـل النبوة لأبي نعيم الأصـــبهـاني – رقم الحديث ٩٤ – إسناده جيد.

ينظر: البدايـة والنهـايـة للحـافظ ابن كثير - ٢/ ٢٧٤ – ٢٧٥

مع الأمِ الرؤوم

الأيـامُ تمرُ بهـدوءٍ ودعـةٍ، والغلامُ يعيشُ في كنفِ جـدهِ ويرتشــفُ من حنانِ أمهِ التي أفاضــت عليه منَ العطفِ والاهتمامِ والحرص الكثيرَ، فقد كانَ الغلامُ محمدٌ مرحبًا بـهِ أينمـا حلَ، فجمـالُ خُلقـهِ الممزوجِ برائعِ خَلقـهِ رغمَ صغرِ سنهِ أسرَ جميعَ مَن عرفَهُ

مضــت ســنتان واشــتدَ عودُ الصــغيرِ قليلاً، فقررت الأمُ وفـاءً لـذكرى زوجهـا الراحـل أن تزورَ قبرَهُ في يثربَ، وكذلكَ تعرفُ الصــــغيرَ أينَ يرقدُ أباهُ؛ خرجت من مكة قاطعةً الفيافي والقفار في رحلة تبلغُ خمسـمائةٍ كيلو متر، ومعها ولدها اليتمَ محمدٌ وخادمتها أمُ أيمن.

اســتمر المكث عندَ بني النجار في يثربَ لشــهرٍ، ثُمَّ قفلت راجعةً فلحقها المرض وألح عليها حتى منعها من السـيرِ والتقدم، وكان ذلكَ في أوائل الطريق عند وصــولها قريةً اســـمها (الأبواء)، على الطريق بين يثرب ومكة، فكانت مشيئة صاحب المشيئة سبحانه أن ترجعَ الأمانة لمالكها، وتفارق روح آمنة جسدها تاركةً محمد ابن الستة سنوات وحيدًا، فكان ذلك أبلغُ اليتم، فهو الذي ولد ولم ترَ عينه الأب وها هي اليوم تفارقه الأم وهو في أمس الحاجة لها

في ســـنهِ هذهِ، وكان للحادث أثر عميق في قلب الغلام كيف لا والأم هي أحن خلق الله سبحانه على وليدها.

بعد موت آمنة حضـــنته أم أيمن وهي مولاته التي ورثها من أبيهِ.

يـالـه من حـدثٍ جلـل ينهـار أمـامـه الرجـال ذوي الهمم الأقوياء والصبر، لكن هذا الصغير جبل أشم عظيم تحمل الموقف وتصـــبر، فما كان منه إلا ذرف الدموع الثمينة على فقد الرؤوم الغالية.

آهٍ أي يثربُ، ما قصـــتكِ مع آل عبد المطلب؟! بالأمس ضـــممتِ في باطنكِ عبد الله واليوم طاردتي بحماكِ آمنة، فقضت بقربكِ، ماذا تُخبئين لمحمدٍ يا يثربُ؟

---

(1) ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٥٣

ينظر: إسعاد البرية - ٣١

في كفالة عبد المطلب

تنقل الغلام بين درجات اليتم حتى وصـــل أبلغها، فقد الأب، ثم الأم.

اعتنى الجد بالحفيد خير اعتناء وقدمه على ولده جميعهم رغم صغر سنه، فقد كان يوضع لعبد المطلب فراشًا في ظل الكعبة، وكان بنوه يجلسون حول الفراش حتى يخرج إليهم لا يجرء أحد، بل ولا يسمح لأحد وطء ذلك الفراش إجلالاً لمقامه، إلا أن الغلام الجفر ابن عبد الله كان يأتي ويجلس على الفراش، فيهب عليه أعمامه ليؤخروه عنه، فما إن يراهم عبد المطلب حتى ينهرهم قائلاً بصـــوت زاجر: دعوا ابني، فوالله إن له لشأن.

ثم يجلسهُ معهُ على فراشهِ ويسمح على ظهره بيده.

كيف لا يفعل ذلك وقد رأى بفراســـته العربية الأصـــيلة آيـات النجـابـة والخُلق والخَلق في ذلـك الحفيـد المحفود بالرعاية والاهتمام.

لم يرق قلب شيبة على أحد من ولده ولا ولد ولده كما رق على محمد ومن قبله آمنة، فقد كان ابن عبد الله رفيق جده في جلوســـه وأكله ونومه وخلوته، فلا طعام يؤكل إلا إذا

كان هو الشـــريك، ولا خلوة تهنأ إلا إذا كان الأنيس هو الحفيد.

مرت الأيام ســـريعة وها هو ابن عبد الله قد بلغَ الثماني ســـنين من عمره، فجـاء الأمر المحزن الآخر الـذي سـيصـيب الغلام بالحزن من جديد، حزن يمر على قلب كلّ إنسان عندما يفقد أحد الأعزاء أو الحانيين عليه، ومن جرب وجع الفراق يكون قلبه عامرًا وتسقلُ نفسه وترق.

عبد المطلب على فراش الموت يودع الحياة، لكنُّه لم ينسَ الحفيد الحبيب، فأوصـــى أبا طالب بحفظ محمد ورعايته وكفالته، كيف لا وهو العمُ من الأبِ والأم.

غادر شيبة الحياة، فانتقل الغلام إلى كنفِ أبي طالب.

إنَّ جميعَ تلك الأحداث ظاهرها مؤلم موجع إلا أنَّ باطنها فيـهِ حكمـة ربـانيـة عظيمـة، فقـد حظي ذلـك الصـــغير "اللطيم" برعاية ربانية، فالله ﷻ من سيربيه ويؤدبه ليعده إعدادًا يليق بالمهمة العظيمة.

---

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام - ١/ ١٩٤

مع العم الحاني الشفيق

احتضـــنَ العمُ ابن أخيه، ومن اللحظات الأولى تربع حبهُ في قلبهِ.. كيف لا، والغلام ذو وجه طليق يبهج الأسارير، وجمال يأســـر النظر، وخُلق يدعو للمهابة رغم صـــغر العمر.

كان أبو طالب مقلاً في الرزق، كثير الولد، وكان عياله إذا أكلوا فرادًا لا يشبعوا، وكذا إذا اجتمعوا.

دخل محمد بيت عمهِ وبدخوله حلت البركة، فصـــار الصـــغار قبل الكبار يأكلون حتى الشـــبع عندما شـــاركهم اليتيم الطعام، لاحظ العم هذا الأمر، فأمر أن لا يؤكل طعام وابن الأخ المبارك ليس على رأس المائدة ليتأكد مما رآه، ومرة تلو الآخر يتكرر الأمر، فصـــار إذا رآهم مجتمعين والمبارك لم يأتِ بعد؛ صـــاح بصـــوت قوي يأمرهم قائلاً: مكانكم حتى يأتي ولدي محمد.

وفي ذات مرة على مائدة الطعام بعد أن انتفخت بطون الصـــغار شـــبعًا وريًا أعلنها عبد مناف للجميع حين قال موجها كلامه لابن أخيه: إنك لمبارك.

ومن الأمور التي تثير العجب أيضًـــا في ذلك الغلام المبارك أن الصـــغار عندما يفيقون من نومهم يكونون

شُعثًا غبرًا إلا هو، فيصبح دهينًا كحيلاً.. يا ترى مَن يفعل لكَ ذلكَ يا محمد؟!

لقد حير مَن حوله، وأجبرهم على احترامه رغم حداثة سنه، فقد حمل عقلاً راجحًا ونظرًا ثاقبًا، فكان يهتم بغيره يعطف على مَن سواه.. أحس بفقر عمه للمال وبحاجته وعوزه، فعمل راعيًا للأغنام ليساعد عمه في تكاليف الحياة.. رعى الغنم لأهل مكة مقابل شيء من النقود.

ثم جاءت إحدى سنين القحط التي كانت تمر على جزيرة العرب وتأثرت مكة وما حولها بالقحط وباءت كل محاولاتهم الاستنجاد بأكوام الحجارة وقطع الأخشاب المسماة آلهة، هنا عج الناس يشكون ويحكون، فشكو لأبي طالب قائلين وهو أعلم منهم بما يعانوه: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم، فاستسق.

لم يتحير الرجل كثيرًا حتى جاءت لأبي طالب الفكرة، وها هو يخرج قاصدًا الكعبة وفي يده غلام كأنه الشمس تجلت عنها السحاب، نعم، ومن غيره إنه الغلام المبارك ذاته؛ عندما وصلا الكعبة ألصق العم ابنه محمدًا على ظهر الكعبة واستسقى بهِ والسماء ما فيها من قزعة، فأقبل السحاب كالهيم العطشى على حوض الماء.. جاد

السحاب بما عنده أحسن جود، فانفجر الوادي واخضب النادي والبادي.

ومع ذلك الانفجار انفجر أبو طالب بأبيات أشعار إليكم منها طرف:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه •••• ثمال اليتامى من عصمة الأرامل

كيف لا وهو المبارك •••• كيف لا وهو أحمد المحمود

كلما ذكرتك تألقتَ في •••• ليلي النجوم وأنارت الأقمار

---

(1) ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٥٤ – ٥٥

ينظر: الرحيق المختوم - ٥٨.

الرحلة إلى الشام

اشتد عود الغلام، وصار عمره اثني عشرة سنة، وكان أبو طالب يعد العدة للخروج إلى الشام في تجارة لقريش، فقرر اصطحاب الغلام المبارك معه ليتعلم فنون التجارة، ويكون أنيس العم ومساعده في رحلته الطويلة.

انطلقت العير تجد المسير قاطعة الفيافي والقفار ومجتازة الأودية والآكام من أرض جزيرة العرب باتجاه الشمال حتى وصلوا بصرى أول أرض الشام، وكان في تلك الأرض راهب من النصارى قد اشتهر بعلمه ومعرفته الواسعة اسمه (جرجيس)، ومشهور ب (بحيرى الراهب)، يعيش في صومعة تطل وتشرف على طريق التجارة القادمة من جزيرة العرب.

لم يكن بحيرى يلتقي أحدًا ولا يخرج لأحد، إلا أنَّه يراقب القوافل من صومعته.

وصلت قافلة قريش وفيها مَن فيها مِن شيوخ قريش وشبابها، وكالعادة حطوا الرحل بالقرب من صومعة الراهب ليريحوا الجمال ويرتاحوا قبل استئناف الرحلة كما جرت عادتهم في رحلتهم إلى الشام.

من المفترض أن تجري الأمور كما كانت تجري سابقًا، لكن ما لم يكن ليخطر على بال التجار حصل.

مَن؟! رسول بحيرى يخبرهم أنّ سيده يدعوهم إلى طعام قد أعد خصيصًا لهم ومن أجلهم!

علامات الاستغراب ممزوجة بالاستفهام والتعجب تطفو على الوجوه ولسان حالهم يقول: أ يعقل أن الراهب الذي يعيش في عزلة ولا يستقبل أحدًا من النصارى أنفسهم إلا ما ندر يدعونا نحنُ إلى طعام؟!

الراهب المعروف الذي آل إليه علم النصرانية، والذي ورثه كابر عن كابر، يعد الطعام خصيصًا لمجموعة أغراب يعبدون الأوثان ويشركون بربّ الأكوان؟!

ما السبب يا ترى؟!

الأمر فيه سر كبير خطير.

سأخبركم عن السر وأطلعكم على الأمر، هيا معي...

بينما كان الراهب جرجيس كعادته يراقب القوافل من صومعته تفاجأ بما شد انتباهه وأثار استغرابه وما رآه كان ينتظر حدوثه منذُ زمن طويل، فلم تكن ساعات النهار الطويلة التي يقضيها يراقب طريق التجارة

للترويح عن النفس أو قتل فراغ الوقت، ورغم توقعه وانتظاره لهُ إلا أنُّه لم يكن يتوقع أن يُرزَق برؤياه.

فبينما يراقب إذ أشرق عليه الغلام جميل الوجه ذو الطلعة البهية ابن الاثني عشرة سنة وقد أظلته غمامة، فكانت العلامة الأولى، فصبر حتى يرى ويتأكد أكثر، فلم يطل انتظاره واطمأن قلبه عند ما رأى الآية واضحة جلية، فلما نزل القوم جلس الغلام يستظل تحت شجرة، فتهصرت أغصان الشجرة على الغلام حتى منعت أشعة الشمس عنه.. تيقن من أن الانتظار انتهى، لكنه لن يفصح عن الحقيقة لأحد حتى يقطع كلّ دابر للشك.

لبى الجميع دعوة الكريم كما طلب، وما تخلف منهم سوى الغلام محمد بن عبد الله لحداثة سنه حيث ترك عند المتاع والإبل.

خرج على الضيوف مضيفهم يرحب ويتفحص الوجوه بدقة يبحث عن قصده ومَن لأجله أولم.

سأل أحد المدعوين يعرب عن استغرابه قائلاً: إن لك لشأنًا اليوم! ما كنتَ لتصنع هذا بنا ونحنُ نمر بك كثيرًا، فما شأنك اليوم؟

أجاب المضـيف بجواب لا يقنع اللبيب، قال: أنتم ضـيف وأحببتُ اكرامكم وصنع الطعام لكم.

استمر الراهب في البحث عن هدفه المنشود بين الوجوه، لكنُّه لم يرَ مَن يريد، فأخذ يؤكد على القوم بعدم تخلف أيّ منهم عن طعامه، والقوم يؤكدون أنُّه ما تخلف أحد ممن ينبغي لـه إجابـة الـدعوة غير أن بحيرى اسـتمر على إصراره.

قـال أحـدهم بعـد أن تـذكر أنّهم تركوا غلامًـا حـدثًـا عنـد متـاعهم: واللات والعزى إن كـان للؤم بنـا أن يتخلف ابن عبد الله عن طعام من بيننا.

ثم قام إليه الرجل وأتى بهِ وأجلسه مع القوم.

بحيرى وجد ضالته فراح يلحظ الغلام لحظًا شديدًا وينظر إلى أشـياء من جسـده وركز على شـيء بين كتفي الغلام مثل أثر المجم حتى إذا فرغ أقبل على أبي طالب وسـأله عن صلته بالغلام وعلى الفور أجاب المسؤول سائله بأنه ابنه، فانتفض بحيرى رافضًـا الإجابة مسـتنكرها، وقال: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا.

فاخبره العم بقرب محمد منه وبأنَّ أباه مات وأمه حبلى به.

طلب جرجيس من أبي طالب أن يُرجع ابن أخيه إلى بلده على الفور، وأن يحـذر يهود، وقـال: فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليبلغنهُ شـرًا، فإنه كائنٌ لابن أخيكَ هذا شأن عظيم، فأسرع بهِ إلى بلده.

كذلك طلب بحيرى من العم أن لا يذهب بالغلام المبارك إلى الروم - بلاد الشام - فإنهم إن عرفوا صفته سيقتلونه.

حاول الشـــيوخ من قريش اســـتنطاق الراهب عن علمه وشأن الغلام، لكنُّه ما أفصح لهم عن شيء يشفي الفضول ويزيح الغمامة، إلا أنّ أبا طالب نفذ ما طُلِبَ.

تدور الأفلاك والأكوان بأمر ربّها •••• تخدمك والغمام والأغصان تحابيك

---

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام - ١/ ٢٠٤ - ٢٠٧

ينظر: صحيح السيرة للألباني - ١٣

مكارمُ الأخلاق

شـــب الغلام المبـارك وهو في حفظ ومنعـة من أقـذار الجـاهليـة والوثنيـة، كـأنّ يدًا خفيـة ذات قدرة عظيمـة مَن تقوم بتوجيهه ومنعه أو دفعه.

ابن عبـد الله: أفضـــل القوم مروءة، وأحســـنهم خلقًـا، وأكرمهم حسـبًا، وأطيبهم جوارًا ومعشـرًا؛ صـب الحلم عليه صبًا، أما الصدق؛ فهو النهر الذي يجري على لسانه دون انقطاع، لا يتكلم إلا من عذب المنطق وطيب الكلام، فذاع خبره في قومه وعلا شأنه وقدره.

أحداث مهمة حبذتُ الوقوف عليها بشـيء من الاختصـار لما لها من أهمية في هذه المرحلة.

حربُ الفجارِ وحلفُ الفضولِ

أما حرب الفجار فإليكم خبرها:

في الشـــهر الحرام قام أحد رجالات هوازن وهو "عروة الرحـال بن جعفر بن كلاب" بإجـارة عير تحمل القمـاش والعطر، وهذه العير للنعمان بن المنذر، فقال له البراض بن قيس أحد رجال بني ضـمرة بن بكر من كنانة: أتجير على كنانة؟

أجابه عروة بعزة وكبرياء: نعم، وعلى الخلق.

خرجت العير يقودها عروة الرحال، فتتبعه البراض وهو ينوي الشـــر حتى إذا وصـــلت مكان يعرف بالعالية غفل عروة، فوثب عليه المتربص، ثم قتله في الشـــهر الحرام، فنشبت الحرب نتيجة هذا الفعل وقد سماها العرب بحرب الفجار، لأنّهم فجروا في الشهرالحرام.

اســـتمرت الحرب أربعة أيام، وقد شـــهدها ابن عبد الله، وكان عمره يومئذٍ خمس عشـرة سـنة، وكانت مهمته فيها النبل على أعمامه.

اكتسب الفتى حديث السن من تلك الحرب جرأة وشجاعة ودربـة على الحروب وفنونهـا، وهـذا الأمر عنـد العرب من الضـــروريات، وفي الوقت ذاته لا يصـــمد من في عمره إلا االأشاوس الأبطال.

وقد وقعت تلك الحرب بين قريش ومن معهم من كنـانـة وبين قيس عيلان (هوازن).

أما الآن، فلنتعرف على حلف الفضول:

يعتبر هذا الحلف أول صـــرخة ووقفة حقيقية في وجه الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تديرها وتوجه دفتها.

في شهر ذي القعدة وهو أحد الأشهر الحرم لدى العرب؛ جاء رجل من زبيد إلى مكة ببضاعة يريد بيعها، فاشتراها منه (العاص بن وائل السهمي)، وبعد أن اشترى منه امتنع عن دفع حقّ البضائع له تغطرسًا وطمعًا، فقام ذلك الرجل الزبيدي بطلب العون لرد حقه من الأحلاف، وهم كلّ من: بني عبد الدار، ومخزوم، وجمح، وسهم، وعدي، فلم يجد عندهم ما نشد لما فيهم من عصبية جاهلية منعتهم من رد الحقّ إلى نصابه.

يأس الرجل الغريب مأكول الحقّ واستعرت النار في فؤاده، فارتقى جبل أبي قبيس، ثم نادى بأعلى صوته بأشعار يصف فيها الظلم والجور الذي وقع عليه.

انبرى له الزبير بن عبد المطلب بعد أن انتفضت داخل عروقه الحمية، لكنها حمية من نوع آخر حمية للحقّ فقال: ما لهذا مترك.

اجتمع ممثلو قبائل قريش وأشرافها في دار (عبد الله بن جدعان التيمي)، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا

مظلومًا من أهلها وغيرها من سـائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على مَن ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فرد الحقّ للزبيدي حقه.

ممّن حضروا الحلف؛ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

---

(1) ينظر: الروض الأنف - ١/ ٣١٩

ينظر: إسعاد البرية - ٣٣

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

التربيةُ الربانية

حفظ الله الفتى محمدًا حفظًا لم يُحفظه أحد مثله من قبل ولا من بعد، فرغم البيئة التي يعيش فيها؛ من عبادة للأوثان، وإباحة لكلّ ما يثير الشهوات، إلا أنَّه لم يقترب لشيء من ذلك كله، بل حتى ما كان يعرف عن الشباب من نزعات ودواع بريئة ما اقترب إليها قط.

لم يأكل لحم ذبيحة نحرت لصنم أبدًا رغم كثرتها وتوفرها.

في أول حياته عمل في رعي الأغنام لأهل مكة، فهيئ له عمله على رعي تلك المخلوقات الضعيفة فرصة الحصول على الهدوء الذي تطلبه النفس الكريمة مع الاستمتاع بمنظر الصحراء الممتدة حيثُ لا عائق يقف أمام البصر المنطلق في الأفق المتأمل في الخلق العظيم، فنشأ الاعتقاد بالإيمان المطلق بأنّ مَن خلق هذهِ العظمة كلها لا يجب أن يعبد من خلال أكوام حجارة منحوتة أو قطع خشب منجورة صنعها العابد بيديه.

قد أكســـب العمل في رعي الأغنام ابن عبد الله ميزات جميلة وصفات حميدة يحسده عليها الكبار قبل الصغار، فمن صـــبر، وحلم، ورأفة، ورحمة، إلى حســـن معاملة وعناية.

كانت نشأته المباركة تكلؤها رعاية الله تعالى وحفظه.

من جميل حال الفتى المبارك؛ عصمته من الزلل أو خطأ جبلة النفس البشرية عليه.

حتى أن له في كلّ شـــبابه محاولتين أراد من خلالهما أن ينتهج نهج الشـــباب ويســـمر ويســـمع صـــوت المعازف والغناء، لكن حاميه عصمه، فضرب على عينيه النعاس ونام وما انتبه إلا عند ما داعبته شمس النهار بعد أن كان قد اتفق مع أحد فتية قريش على أن يرعى له أغنامه حتى يذهب ويســـمر في مكة وعند ما وصـــل إلى مكان فيه عرس ضـرب النعاس عليه، فلم يستسلم وأعادها ثانية، فحصل له ما حصل في الأولى، فما كررها بعدها ألبتة.

لم يُعرف من الفتى المبارك إلا الاستقامة والورع والتورع عن كلّ مشين تستهجنه نفسه النقية الطاهرة حتى شب وكبر وصار أفضل شباب قريش وأطهرهم وأنقاهم، فاشتهر بينهم بلقب (الصادق الأمين)، كيف لا وقد حمل من الطهارة وصدق الحديث والأمانة ما لا يوجد مثله في العالمين.

أضحى الشاب المبارك محمد مضربًا للأمثال بكلّ محمود ممدوح، وبات مُرحبًا به أينما حل، ومفخرة لأعمامه وأهله ومَن له صلة بهِ من قريب أو بعيد.

---

(1) ينظر: صحيح البخاري - كتاب الإجارة - باب رعي الغنم - رقم الحديث ٢٢٦٢

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٥٦

إلى الشام مرة أخرى

مرت السنوات، ومع مرورها ازداد الشاب محمد بن عبد الله بهاءً وذاع صيت أخلاقه الطيبة وخصاله العذبة، وها هو اليوم قد بلغ الخامسة والعشرين عامًا، فصار مثار الاحترام في مكة ومضرب المثل للآباء ومحط إعجاب الشباب وتقدير الأمهات؛ الجميع يتمنى أن لابنه خصلة واحدة مما جُمعت في ابن عبد الله.

شاب مبارك مستقيم غاية الاستقامة، قويم عذب الكلام صادقه، طيب المعشر.

وصل خبر الشاب الهاشمي إلى سيدة نساء قريش كما كان يُطلق عليها، كانت امرأة تاجرة، غنية، تضارب الرجال على أموالها وتجارتها بأن تعطيهم نسبة معينة مقابل الاتجار لها والذهاب بالقوافل إلى الشام، فلما وصل خبر ذلك الشاب إليها رغبت في أن يخرج لها بقافلة إلى الشام رغبة في الربح الوفير.

نعم، يا أحبة إنها هي (الطاهرة)، وهذا أحد ألقابها الذي كان منتشرًا في قريش.. إنّها أم هند (خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القريشية الحسيبة النسيبة)، قريشية الأعمام والأخوال.

كعادتها مع مَن تستأجر اتفقت مع الشاب المبارك على أن يخرج لها إلى الشـــام مقابل نســـبة من الأرباح، فوافق الشاب وأُعدت القافلة وحُملت بالسلع والبضائع، ثم انطلق الشـــاب يرافقه غلام خديجة (مَيســـرة)، بأمر من ســـيدته والقصـــد في إرســـال الغلام التأكد من حقيقة الذي كثر الكلام عن أمانته وأخلاقه الفاضلة، فقد كانت أم هند امرأة لبيبة حازمة.

كانت الرحلة مُيسرة محفوفة بأنواع العناية واليسر حتى الوصول إلى الشام.

بيعت البضاعة التي خُرِجَ بها من مكة، واشتري ما أريد أن يُشترى، ثم رحلة العودة إلى مكة تنطلق وكل مَن فيها مستبشر فرح.

أقبل الرجل المبارك إلى صاحبة التجارة ليسلمها الأمانة، وكانت هناك المفاجأة للمرأة التاجرة العارفة بالأرباح والتجارة لما وجدته من بركة في أرباحها لم تحصل على مثلها من قبل، ثم جاء دور الغلام مَيســـرة ليقص عليها أحوال الهاشمي في الرحلة.

من أين يبدأ وماذا يقول عن أخبار ابن الأصـــول.. حاول جاهدًا وصـــفَ عظيم أخلاقه، وكريم خصـــاله، وطيب نفسه، ورقي تعامله، وصدقه ورأفته بمن حوله.

لما سمعت خديجة كلام غلامها وهي الكريمة سليلة الكرام وسيدة الحسان رغبت بالزواج بالسليل الأصيل ذي الخُلق الجميل، رغبت بهِ لما عرفته عنه من شمائل، وقبل كانت ترغب عن الخاطب من سادة وأشراف قريش، لكنها فضلت ذلك الشاب القريشي رغم فقر حاله ماديًا إلا أنه أغنى أهل الأرض بما يحمل من خصال وهذا ما أيقنته الطاهرة.

أرسلت خديجة في طلب صديقتها المقربة (نفيسة بنت منبه)، وحدثتها عما يدور في الخلد وما تتمناه النفس.. انبرت الصديقة المخلصة معلنة استعداداها القيام بالمهمة وتكليم من عليه القصد، لم تضيع نفيسة الوقت، وانطلقت ثم كلمت الرجل المبارك، وما كان من كريم مثله إلا الموافقة لأنَّه يعرف قدر المرأة وشرفها في قومها، فأخبر أعمامه الخبر، فسعدوا وأيدوا.

لعلي هنا أقاطع استمتاعكم أيها الأحبة برائع الأخبار من سيرة المختار وأكلمكم عن مسألة مهمة تتعلق بما تقدم من عرض أمنا الغالية خديجة الكاملة نفسها للزواج من خير خلق الله -صلى الله عليه وسلم-:

مسألة جواز عرض المرأة نفسها للزواج على الرجل والمشكل في الموضوع أن كثيرًا منا لم يفهم القواعد لهذا

العرض، بل وذهب آخرون للتشكيك أو الإنكار خاصة من أخواتنا النساء تحت شعار كرامة المرأة، ولن أبسط الكلام بالرد على الأقوال، فليس هنا محله إلا أني أنبه إلى أن هذا الفعل ثابت مقيد، لكن على المرأة أن تتيقن من صلاح من ترغب عرض نفسها عليه، وأن يكون العرض قدر الإمكان منضبطًا أو عن طريق مقرب أو صديق ولا بأس في العرض مباشرة مستخدمة التعريض في كلامها لا الكلام المباشر، والمتأمل في قصة أمنا خديجة يستقي القواعد الطيبة المفيدة ويعرف المقصود والمرجو.

انطلق أعمام محمد بن عبد الله ليخطبوا خديجة بنت خويلد من عمها عمرو بن أسد، فأبوها كان قد مات في حرب الفجار.

---

(1) ينظر: الروض الأنف - ١ / ٣٢٢ – ٣٢٨

(2) ينظر: فقه السيرة للغزالي - ٦٠ – ٦١

(3) ينظر: ما شاع ولم يثبت - ١٨ – ١٩

الزواج المبارك من سيدة نساء قريش

تم الزواج المبارك، وقد أصـــدق الرجل المبارك زوجته عشـــرين بكرًا من الإبل، وكانت ســـيدة قريش قبل أن تتزوج بابن عبد الله قد فارقت زوجين وكان عمرها يوم تزوجت بمحمد الأمين بين الثامنة والعشـرين والخامسـة والثلاثين وليس كما أشـــتهر من الخبر؛ أنها كانت في الأربعين، فهذا قول ليس متين.

زواج ميمون مبارك وحياة طيبة هانئة جميلة، كيف لا وقد اجتمع سيد شباب قريش بسيدة نسائها.

ولدت خديجة للهاشـــمي الطيب المبارك من الأولاد الذكور: القاســـم وبهِ كنيا الزوجان، ثم عبد الله ولقب الأخير بالطيب والطاهر، وشـــاء الرحمن ســـبحانه أن يموت الذكران وهما صغيران، وفي هذا الأمر حكمة من الله تعالى رغم مرارته، فمن قبل عاش محمد مرارة فقد الأبوين والعيش لطيمًا والآن يعيش وجع فقد فلذات الكبد؛ أمر لا يحتمله إلا ذو قلب مليء باليقين.

أيها الطيبون الأبرار يا من تقرؤون سيرة سيد الأخيار؛ إن لهذهِ المحنة التي مر بها ســـيد البشـــر ﷺ وجهان من الخير؛ أما الأول: حتى لا يكون مدعاة لافتتان بعض

الناس فيما بعد لأنّهما لو عاشـــا أو أحدهما ســـيكونان ابنا نبي وقد تُدعا لهم النبوة من بعض ضعفاء العقول.

أما الثاني: اعطاه الله ســـبحانه الذكور تكميلاً للفطرة البشـرية، وقضـــاء لحاجة النفس، ولِئَلا يُنتقص من كمال رجولته من قبل شانئيه يوم يظهر الأمر العظيم.

كما رزق سيد شباب قريش من سيدة نسائها من الإناث: زينب، ورقية، وأم كلثوم، ثم الصغيرة حبيبة أبيها فاطمة.

جميع بناته تزوجن، ثم متن في حياته إلا البضعة فاطمة، فقد وافاها الأجل بعد موته بستة أشهر.

---

(1) ينظر: إسعاد البرية - ٣٧

الرأي الراجح

عبر السنوات الطويلة كانت الكعبة أقدس مقدسات العرب عُرضـــة لعوامل الطبيعة القاســية وســطو اللصــوص والطامعين، فهي لم تكن تملك ســقفًا وحجارة جدرانها لم تكن مرتبطة ببعضــها البعض بشــيء مما يعرف بالبناء والرصــف، وآخر ما تعرضــت له؛ ســيل ضــرب مكة، فأوشكت الكعبة على الانهيار.

اجتمع الســـادة والقادة يتدارســـون الأمر المهم ليَخرجوا بقرار سليم.

استقر الرأي على إعادة البناء والتجديد، لكن البناء يحتاج إلى هدم، وهدم الكعبة أمر مخيف مرعب، فما حدث لإبرهة وجنوده ليس ببعيد إلا أن العقلاء قالوا وأكدوا على أن الأهم هي النية، فالخير هو المقصـــد والهَالكُ اللعين كان يضمر الشر، فأهلكه ربّ البيت شرّ مَهلِك.

نهض أحد الرجال المجتمعين خطيبًا، فقال: يا معشـــر قريش، لا تُدخِلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبًا؛ لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربًا، ولا مظلمة أحد من الناس.

أيد وشـد على عضـده الجميع، لكن الخوف ما زال يدب في القلوب من التجرؤ على هدمها، ومَن ذا الذي يقوم بأول الخطوات ويخاطر بالحياة؟

لم يمر الكثير من الوقت ولا طال التفكير والتدبير حتى وثب (الوليد بن المغيرة)، بين المجتمعين معلنًا أنه سيكون أول مَن يهدم، فأخذ المعول، ثم ارتقى أحد جدران الكعبة وهو يقول: (اللهم لم ترع)، قصد بعبارته هذهِ أنَّه جاء قاصدًا البر من هدمه.

اتفق المجتمعون على الانتظار ليلتهم تلك والنظر فيما يحصل للوليد، فإن أصبح سالمًا يُستأنف الهدم وإلا فالإحجام أسلم.

أصبح الصباح والوليد بخير صحة وأحسن حال.

شارك الجميع بالعمل في الهدم والبناء ومن ضمن مَن شاركوا محمد بن عبد الله، وكان حينئذٍ بلغ الخامسة والثلاثين.. عمل ابن عبد الله في حمل الأحجار ومعه عمه العباس بن عبد المطلب.

جُزِءَ العمل وقسم، فلكلّ قبيلة من قريش جزءًا يجمعون له الحجارة على حدى وقد تولى البناء رجل رومي اسمه (ياقوم)، ولما بلغ البناء موضع الحجر الأسعد (الحجر

الأســود)، دب الخلاف وعلا صــوت الاختلاف وتناحر الأطراف؛ مَن منهم ينال شــرف وضــعه في محله، فكاد الأمر يصير حربًا ضروسًا، ومضت ليال أربع أو خمس وجلهم للشــر قد تحمس منتظرين شــرارة تقدح لتُســل الســيوف، فتفلق الهامات وتزهق النفوس إلا أن صــوت الحكمة والعقل متجســدًا بأســنهم عمرًا (أبو أميمة بن المغيرة)، صرخ ناصحًا: يا معشر قريش، اجمعوا بينكم فيما تختلفون فيه؛ أول مَن يدخل من باب هذا المســجد يقضي بينكم فيهِ.

اســتُحســن الرأي، و وافق القوم عليه بعد قصــر تفكير وحسن تشاور وتدبير.

العيون تراقب والأبصار ترصد يا ترى، هل القادم عليهم يحسن الحل أم بهِ سيشتعل فتيل القتل؟

لم يطل الانتظار، وكانوا على موعد مع القدر من القدير القوي العليم، ما كاد الصــبر أن ينفد حتى دخل رجل من الباب، فحدقت بهِ العيون وبعد أن بصــرته وعرفته علا الفرح والارتياح الوجوه، واستبشر القوم خيرًا، كيف لا والداخل عليهم الأمين صادق الحديث سديد الرأي محمد المبارك.

تباشرت القلوب قبل الألسن والأفواه.

عُرض الأمر على أبي القاسم المختار حكمًا ودون تلكئ أو انحياز جاءهم الحل بامتياز.

طلب الإتيان بثوب من قماش، ففرشه على الأرض ووضع الحجر الأسعد فيه، ثم قال لرؤساء قبائل قريش: أمسكوا كلّ واحد منكم بطرف هذا الثوب واحملوه، ثم ارفعوه حيثُ موضع الحجر.

بعد ما فعل القوم ما طلب منهم، بيده أخذ الحجر وأسكنه مكانه.

هدأت الأنفاس بعد أن سكنت النفوس وتفصد من الجباه عرق الارتياح بعد دفن الفتنة.

عاد الجميع للعمل الحثيث في البناء والتشييد، لكن النفقة الحلال الطيبة قصرت بقريش، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوًا من ستة أذرع وهي تسمى بالحجر والحطيم ورفعوا باب الكعبة من الأرض لئلا يدخلها إلا

من أرادوا، ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعًا ارتفاعًا وضع السقف على ستة أعمدة.

فتمت المَهمة المُهمة.

---

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام - ١ / ٢١٨ – ٢٢٤

(2) ينظر: فقه السيرة للغزالي - ٦٢ – ٦٣

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

قبيل الحدث العظيم

في منتصف القرن السادس الميلادي وصلت الأوضاع في جزيرة العرب وما حولها إلى قعر قاع الرذيلة والفساد وراحت الإنسانية تترنح كأنّها مومس تجرب كلّ يوم رجلاً فاسدًا مارقًا، فلم يكن ذلك كله ليَصلُح بصيحات رجل مصلح هنا أو وعض حريص هناك لأنّ القضية أكبر من ترميم بعض الأخلاقيات، الأمر ليس صدعًا صغيرًا في ضمير البشرية، بل هدم كبير في قلبها.

في ظل كلّ ذلك كان محمد الأمين صامدًا بوجه العواصف العاتية من ملذات الحياة وزوابع الضلال والظلم، وها هو اليوم قارب الأربعين من عمره، فبدأت نفسه تضيق وتضيق ممّا يرى ويسمع فراح يتفكر ويغوص بفكره عميقًا، والأسئلة تُلح عليه.

كيف لأناس يعلمون أن هناك ربّ في السماء خلقهم ورزقهم وخلق لهم ما يركبون ويأكلون وهيأ لهم جميع سبل الحياة الطيبة، ثم ما لبثوا أن يهرعوا مسرعين للسجود بين يدي حجارة صماء أو خشبة جرداء أو صنم صنع من تمر يسألونه المال والعيال والرضا والتيسير، ثم إذا جاع أحدهم أكله وبعدها يصنع بيده آخر ليكبل نفسه لما صنع عبد مُعبد ذليل؟!

لا لم يقبله عقل أبي القاسم ذلك الانحراف، ففطرته السليمة القومية تدفعه للنفور من تلك الأمور.

"اسمحوا لي مرة أخرى مقاطعة الأحداث وطرح سؤال مهم على نفسي وعليكم أيّها الكرام أبناء الكرام: ألسنا اليوم أشبه بالأمس البعيد؛ من سقوط القيم والأخلاق والانحطاط والانحلال؟ ألسنا كذلك بالله عليكم؛ إلا أنُّه لا نبي بعد محمد -صلى الله عليه وسلم-؟

ما الحل إذًا؟

الحل واضح جلي: إنُّه القرآن الكريم، وفهمه بفهم أخيار الأمة وأبرارها، وسنة خير خلق الله أجمعين -صلى الله عليه وسلم- ما زالا بين ظهرانينا، فلنعضّ عليهما بالنواجذ، ولنتتبع الهدى الشريف، ونطبق الأوامر ونبتعد عن الزواجر والأمر كله لا يحتاج إلا لامرؤ حكيم حليم".

أعود بكم أيّها الأحبة إلى الأحداث:

كان كهنة وأحبار ورهبان ذلك الزمان لا يتوقفون عن الكلام عن نبي آخر الزمان وقرب ظهوره، كلّ منهم يعتمد على مصادره الخاصة، فكَهنة العرب يعتمدون على ما تلقيه إليهم الجنّ ممّا تسمع من خبر السماء، ثم يقوم الكهنة بمزج تلك الأخبار بالكثير من الكذب المختار

ليناسب الحال وينسجم مع المقال، لكنّ مصدرهم قد قطع دابره ولم يبق لَهُ أثر إذ أمر ربّ السماوات بحظرها عن الجن والشياطين؛ أما أحبار اليهود ورهبان النصارى، فكان علمهم بنبي آخر الزمان من بقايا كتبهم التي لم تصل إليها بعد يد التحريف الآثمة إلا أن خبثهم منعهم من إذاعة خبر النبي المنتظر بصريح عبارة أو دقيق وصف وكانوا يمنون النفوس، بل ويدعون أنَّه منهم وتحت رايته سيقاتلون عُباد الأوثان ويقضون عليهم.

بعيدًا عن مكة ببضع (كيلو مترات)، وفي قلب حِراء؛ الغار الضيق الصغير بمساحته الواسع الكبير الرحب بمن فيه من شريف؛ أبو القاسم داخله يقضي الأيام ذوات العدد، وشهر رمضان بأكمله يتفكر في خلق الله تعالى من صحاري وجبال وأراضٍ ومخلوقات.. نعم، كان يتحنف، أي: يتعبد على دين إبراهيم خليل الرحمن -عَلَيْهِ السَّلَام- فالحنيفية لم تكن قد اندثرت، إنّما ندرت، ومن أشهر من كان حنيفيًا في قريش (عمرو بن نفيل).

حُبب لمحمد الأمين العزلة، فكان الغار المبارك خير مكان، وكانت الزوجة الصالحة خديجة خير معين حيثُ تُعد الزاد للزوج ليتقوى على عزلته ولا تسمعه أيّ كلام

أو تحمله هم الأسرة والعيال، فهي في غيابه رجل صنديد وفي حضـرته زوجة مطيعة هينة لينة باسـمة الثغر طيبة الكلام والعطر.

بدأت الإرهاصـــات تتولى، فمن تســليم الحجر عليه إلى الرؤى الصـادقة التي كانت تتحقق كفلق الصـبح حال أبي القاسم.

---

(1) ينظر: فقه السيرة للغزالي - ٦٤ – ٦٦

ينظر: إسعاد البرية - ٤٠ – ٤٣

أول البشائر تهل

صار عمر المبارك محمد أربعين سنة...

وفي يوم الاثنين على رأس العشـــرة الأواخر من شـــهر رمضـــان ليلاً حدث الحدث العظيم الذي بعده لن يكون العالم كما كان، بل ســيتغير وســوف تهتز الدنيا بإزهار التوحيد من جديد في قلوب الخلق، وبالمقابل تتوحد رايات الكفر والإلحاد والشـــرك لمواجهة الخطر الذي ســـيُلم بهم، وســـوف تبدأ أفواه الحقد والكذب والزيف محاولاتها المستميتة في إطفاء النور الذي سطع وانتشر.

بينما محمد بن عبد الله في غار حراء جاءه الحقّ نازلاً من السماء، وبأمر الواحد الأحد، عبد الرحمن يزور خير إنســان، وينزل محملاً برســالة من الديان خالق الأكوان، وببشارة وتبليغ لعبد الله بن عبد الله.

جبريل عند أبي القاسم على هيئة بشرية، ولك أن تتخيل رجل وحيد في غار بعيد لا أنيس ولا ونيس، وفجأة يظهر له رجل لم يسمع قبل وصوله وقع أقدام.

مَن هذا؟! وما الذي يريده؟! أهو إنس أم جن؟! أجاء بخير أم بشر؟!

موقف يحتاج لرجل جلد ذا قلب عامر ثابت واثق.

دون مقدمات تكلم القادم في عجل من السماء مصدرًا أمرًا للمستمع: اقرأ.

أجاب العبد الصالح محمد: ما أنا بقارئ.

فغطه عبد الرحمن حتى بلغ منه الجهد، ثم تركه وأعاد عليه الطلب ذاته: اقرأ.

أعاد العبد الصالح إجابته الأولى ليقوم جبريل (عَلَيْهِ السَّلَام) بفعل ما فعله أول الأمر وكررها ثالثة؛ طلب، جواب، غط، ترك، لكن حان الوقت للرسول أن يُبلغ كلام الجليل الكريم: {اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ... الآيات} سورة العلق.

تركه الرسول بعد أن طبعت هذهِ الكلمات على قلب أبي القاسم، فرجع بها يرجف فؤاده ليدخل على خديجة مخبرًا إياها بالخبر، وهنا ازداد بريق المعدن الأصيل للزوجة الصالحة.

قال لها بعد أن قص عليها ما حصل بالتفصيل: لقد خفتُ على نفسي.

اسمع واسمعي (يرعاكم الله)، الرّد الجميل من الزوجة التي تؤازر زوجها.

قالت أم القاسم: كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ.

"أود التعقيب بكلمات هنا لأن الأمر عظيم مهم...

ضربت أمنا الغالية أم القاسم (رَضِيَ اللهُ عَنْها)، أعظم الدروس، ومثلت أعظم مثال للزوجة الصالحة، فيا أخواتنا الطيبات، اقتدينَ بأمكنَ خديجة، كنَ عونًا للأزواج وسندًا، فأنتنَ عمود الخيمة المتين، وأزواجكن سقفها، فكن ممّن يحملن الهم ويعنَ على نوائب الدهر، ولا تكنَ معول هدم ومنشار قطع للهمم.

يا أخواتنا الغاليات، لا تقلنَ ذاك محمد -صلى الله عليه وسلم- وتلك خديجة، فأينكم وأيننا منهم؟

الجواب: أمرنا بهداهم نهتدي وعلى نهجهم القويم نسير، فهم القدوة والقدوة نتبع ونتتبع.. أختاه كوني له سكنًا يكن لك أبًا وأخًا وحبيبًا".

نعودُ لننهل من رائع الأخبار، وطيب الكلم:

أخذت خديجة بنت خويلد زوجها بعد أن حدثها بخبره إلى ابن عم لها اسمه (ورقة بن نوفل بن أسد)، وكان امرؤ قد تنصـــر وتبحر في النصـــرانية وتعلم الكثير عنها، وحين أتته خديجة كان شيخًا طاعنًا في السن قد أصيب بالعمى.

طلبت أم القاسم منه سماع خبر زوجها، فأنصت.. قص ابن الأكارم ما جرى على مسام الشيخ، فقال ورقة بحزم: هذا الناموس الذي نزله الله على موســـى - يقصـــد بالناموس: صاحب سرّ الخير، وضده جاسوس - يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجكَ قومكَ.

تعجب المستمع، وقال: أو مخرجي هم؟!

أجابه متيقنًا: لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت بِهِ إلا عودي، وإن يدركني يومكَ أنصركَ نصرًا مؤزرًا.

لكن لم تمض الكثير من الأيام حتى مات ورقة.

إي والله، ما أتى أحد بالحقّ ودعا إليه إلا وجد مِنَ العداوة ما لا يطاق، لأنّ محبي الضـــلال كثر، وأســـياده كثر، ومتبعيه كثر.

(اللهم صلِّ وسلم وبارك وأنعم على خير من وطئت قدماه الثرى، سيد الخلق، عالم العلماء، فارس الفرسان، محمد أبو القاســـم، وعلى آل بيته الطاهرين، وصـــحبه الأخيار أجمعين.

ينظر: زاد المعاد - ١/ ٨٢

ينظر: صحيح السيرة للألباني - ٤٢

ينظر: الرحيق المختوم - ٦٦

إبطاء الرسول

بعد أول لقاء بينَ أبي القاسم ﷺ ومبلغ خبر السماء حدث إبطاء في اللقاء التالي، والحكمة منه؛ ليذهب ما كان في المختار ﷺ من وجد الروح، وليحصل لَهُ بعد ذلك الشوق إلى العودة.

أيام قلائل بعدها عاد الوحي، وحمي واستمر ليوصل الرسالة من الخالق العظيم وتتنزل التعاليم الباهرة والآيات المعجزة من رَبِّ الأرضين والسماوات.

بينما رسول الله ﷺ يمشي إذ سمع صوتًا مصدره السماء، فرفع بصره ليرى رسول السماء جبريل (عَلَيْهِ السَّلاَم) الذي جاءه بحراء جالسًا على كرسي بينَ السماء والأرض.

وبدأت الرحلة العظيمة، رحلة نشر دين الله والسعي لإخراج الناس من ظلمات الشرك والضلال إلى شمس التوحيد والهداية.

ينظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير – باب: {وَالرجزَ فَاهجُر} - رقم الحديث ٤٩٢٦

ينظر: ما شاع ولم يثبت - ٢٥

وقفة

قبل إطلاق العنان لخيل معرفتنا العطشى حتى ترتشف من نبع أحداث وتفاصيل أداء الرسالة العظيمة، ونروي أرواحنا المتعبة، ونرخي رواحل همومنا عند باب خير خلق الله ﷺ ونسمع ونقرأ عن أعظم ثورة حصلت ضد الظلم والكفر عرفتها البشرية.

دعونا نتعرف معًا عن كيفية مجيء الوحي على رسول الله ﷺ بجميع أحواله:

لم يكن الوحي يجيء بصورة واحدة ثابتة، بل كان مرة يأتي رؤيا صادقة، وأخرى ما كان يلقيه المَلك في روعه وقلبه ﷺ من غير أن يراه وهو ما يعرف بالإلهام، وأيضًا تمثل له ﷺ المَلك على هيئة رجل، فكلمه وخاطبه حتى يعي عنه ما يقول والأشد بأن يأتيه مثل صلصلة الجَرس، فيتلبس بهِ، ورؤية المَلك في صورته التي خلقه الله عليها، فيوحي إليه ما شاء الله تعالى أن يوحي، أما الأخيرة؛ فما أوحاه الله سبحانه إليه وهو ﷺ فوق السماوات ليلة المعراج.

أما الآن فأعدوا العدة للقادم من عظيم الأحداث، فالرحلة ستبدأ مع نور الرسالة، وسنعيش مع حبيبنا أحداثًا عظام و وقائعًا جسام منها ما سيكون فيها الكلام هو الحسام وأخرى الصبر هو الترس وتحمل الأذى في سبيل الله سبحانه هو الدرع.

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

الدعوةُ في مكة

سريةٌ وَعلنيةٌ

انبلجَ الصبح المنير بعد ليل مدلهم طويل، وها هي أشعتُ شمس صبح جديد تداعب تلكَ الجبال وتتسلل بهدوء وسكينة إلى الدور والأحياء والتلال؛ شمس غير كلّ الشموس، ويوم خير ممّا سبق.. صباح ولد من رحم الحدث الأعظم على مرّ الدهور والعصور، حدث لم تشهد مثله القصور والبلدان، حدث شَرُفت بهِ بقعة أرض لم تكن معروفة عند كثير من أهل الإمبراطوريات، وإن وصل خبرها لم يلتفت إليها، فأهلها مجموعة ممّن يقتاتون على التجارة تارة وعلى الغزو أخرى ويسجدون للأخشاب والحجارة.

من بين كل بيوت المدينة -مكة- كان بيت قد حظي بما لم تحظَ بهِ البشرية شرفًا، وحُبي بعظيم الرفد ووافر الكرم؛ إنُّه بيتُ محمد بن عبد الله ﷺ الذي زاره رسول الإله ليبشره أنه النبي الخاتم والرسول الأعظم.

تتابعُ الأمر العظيم، وبداية الدعوة لتوحيد رَبِّ العالمين

الوحي يتتابع إلى المرسل إليه ليكون رسولاً مبلغًا نذيرًا، فتقبلها المُبَلغُ من المُبَلِغ العظيم وانصت لرسول ربّ العالمين، فصار لزامًا على المختار ﷺ أن يعد العدة النفسية والجسدية للقيام بمهام النبوة وإيصال الرسالة وتبليغها بعون الله سبحانه وتوفيقه.

بدأ رسول الله ﷺ بتبليغ أمر الله تعالى، فكان أول مَن صدقه، وآمن بهِ وأيده، وآزره؛ الزوجة الصالحة الأصيلة، فمذ اليوم الأول من الحدث الأعظم، ومن اللحظة التي عرفت فيها ما جرى في غار حراء كانت نعمَ المؤمنة وخير معين، فضربت أروع الأمثلة عن المرأة المسلمة المؤمنة الصابرة المحتسبة في مشاركتها زوجها همومه وتأييده وتعضيده.

غُرِسَت في قلب الزوجة الصالحة خديجة شجرة الإيمان ويا لها من شجرة؛ سريعة النمو ثابتة الجذور طيبة الثمار.

السلام أقرأها السلام! نعم، الله ﷻ أبلغ الأمين جبريل - عَلَيْهِ السَّلَام- أن يبلغ خير الأنام ﷺ أنُّه يقرئ أمَتَهُ خديجة السلام، يا له من مقام ويا لها من عطية وهبة، وهل

انتهت العطايا والهبات العظيمات؟ ثم بشـرت أمنا الغالية أم القاسم (رَضِيَ اللهُ عَنْها) ببيت لها في الجنة من اللؤلؤ المجوف لا صخب فيه ولا تعب.

تصـور (يرعاك الله)، خبر يصـل من أصـدق البشـر بأن من خلقكَ يسلم عليك ويبشرك أن لك في الجنان العاليات مســـتقر ومقام؛ لله دركِ يا أماه، وجزاك الله عن نبينا ﷺ وعن الإســـلام وعنا خير جزاء، فخديجة بنت خويلد أول مَن آمن بمحمد ﷺ من الإنس والجن على وجه الأرض.

قبل أن تحلق بنا أجنحة الحقّ واليقين عاليًا في ســـماء الدروس الندية والعبر الجلية ونشـــارك أولئك العظام الأحداث بمشـــاعرنا علنا بذلك نحوز على القرب والوصـــال ونغســـل القلوب من بعض ما علق بها من أحوال الدنيا وحبها.

أريد الوقوف على خبر السـادة الطيبين الأبرار من أوائل من أسلم وآمن بخير الأطهار وسيد السادات ومضرب الأمثال أبي القاسم الحبيب محمد ﷺ.

إن معرفة أوائل من شـــهد (أن لا إله إلا الله وحده وأن محمدًا عبده ورسوله)...

أول مَن أسلم:

شـــرف عظيم عنـدمـا نـذكر الكوكبـة الطيبـة من الغر الميامين، أصـحاب السبق النجوم التي زينت سماء العالم وأحاطت ببدر التمام، الفارس المقدام، حبيب الأنام محمد ﷺ وكما تقدم أن أول من آمن وصـدق مطلقًا أمنا الحبيبة خديجة، وأول مَن آمن من الرجال البالغين الأحرار (عبد الله بن عثمان التيمي القريشـــي)، المكنى بأبي بكر أعلم قريش بأنســـابها، التاجر الســـمح، الهين اللين، طيب المعشـر، وقد لقبه صـديقه ونبيه وحبيبه بالعتيق، والكلام عن أبي بكر يحتاج لمحابر وأقلام ودفاتر لما حمل من خصال وخلال، والعتيق بعد إسلامه انطلق في دعوة من يثق بهم من قريش ليغترفوا من نهر الإسلام، فشاء القوي المتين أن تلبي ثلة طيبة دعوته ممّن ســـيأتي ذكرهم إن شاء الله.

وأول من آمن من الغلمان؛ الأسـد الضـرغام، الهصـور الهمام ابن عم خير الأنام ﷺ الحسـيب النسـيب (علي بن أبي طالب بن عبد المطلب)، وكان عمره يوم أسلم عشرة أعوام، لكن قلبـه تفتح للإيمـان كزهرة أقحوان، كيف لا وقد عـاش في كنف رســـول الله ﷺ وإذا قلنـا من حيث الزمن لا الســـن، فعلي كـان بعد خديجـة (رَضِـــيَ اللهُ

عَنْهُما)، قد أسلم وآمن برسالة ابن العم الذي انتهل منه الأخلاق الراقية والمكارم.

ثم سارعت بنات الحبيب المصطفى ﷺ ليلتحقنَ بالركب المبارك اسوة بأمهنَّ وتصديقًا لأبيهنَّ.

ولا يفوتني ذكر أول من آمن من الموالي؛ إنُّه الحِب (زيد بن الحارثة بن شرحبيل)، الذي فضل الرق عند محمد ﷺ على العودة حرًا مع أهله، فأعتقه سيده، فصار يعرف عند الناس بمكة بزيد بن محمد، فما الذي وجده عند بيتِ أبي القاسم ليختار ذلك الاختيار؟

قد وجد حرية الروح، وكرامة النفس، وحسن التعامل، وطيب العشرة.

أعود لذكر الأشراف الكرام الذين كان أبو بكر (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، قد دعاهم إلى الإسلام، فلبوا الدعوة بعد أن أنار التوحيد قلوبهم، فأشرقت الوجوه بِشرًا.. لبى (عثمان بن عفان بن أبي العاص)، وتبعه (الزبير بن العوام بن خويلد)، الشاب الشهم وأمه صفية بنت عبد المطلب، ثم (عبد الرحمن بن عوف)، فالأصيل (سعد بن مالك الزهري)، سعد بن أبي وقاص، حاز وسام الإسلام، فزاد شرفًا ورفعة، ثم أناخ (طلحة)، راحلة روحه وجثا بكله

عند النبي ﷺ ليعلن إســلامه، فهو (طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القريشي).

بتلك الثلة الطيبة الطاهرة من رجال ونساء أبحرت سفينة النجـاة معلنــة عن مرحلــة جـديـدة في تـاريخ الجزيرة العربية، بل تاريخ الإنســانية ولا أبالغ إن قلت في تاريخ الخليقة جمعاء.

ركائز راسخة رسوخ الغرابيب الشاهقة تعانق بشموخها عنان الســماء نذرت حياتها للدعوة إلى الله تحت قيادة القائد العظيم الهادي إلى طريق الرشــاد والنجاة محمد بن عبـد الله ﷺ، ثم تبع أولئـك الأبطـال أخر من ســاداتنـا الأبرار؛ كبلال بن رباح، وعمار بن ياســر، وأبي ذر وغيرهم .

رضي الله عنهم وعن جميع الآل والصحب.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام - ١/ ٢٧٣ ــ ٢٨٦

ينظر: تاريخ الإسلام - ٢/ ٩٧

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٨٤ ــ ٩٢

أبحرت السفينةُ المباركةُ

الأمر ما عاد فيه شكٌ أو تشكيك، فمحمد ﷺ رسول الله ونبيه حقًا يقينًا وقد جاءه جبريل (عَلَيْهِ السَّلَام) يحمل الآيات البينات من الربّ الجليل، ويأمره بالصبر الطويل والإعراض عن الجاهلين والدعوة إلى الطريق القويم.

هذهِ مكة صار فيها أمر عظيم كان يعدُ لَهُ في الملأ الأعلى منذ بدء الخليقة، فذكره محفوظ عند العليم الودود.

والآن حان وقت التشمير عن ساعد العزم، والأمر بتبليغ الدعوة قد نزل، وبانت حقائق ما بني عليه الإسلام من؛ الدعوة إلى توحيد الديان، والإيمان بيوم النشور وتطهير النفوس، ودفع الفساد عن جماعة المسلمين، والسعي لجلب النفع المباح.

كانت البداية سرية لبعض سنين، وقد كان التوافد على الدين الجديد أشبه بقطرات الغيث المباركات أول نزوله بعد سني جدب وقحط طوال، فالقطرات في أول الهطول معدودة فريدة، لكنّها طيبة مفيدة.

بلغ عدد المسلمين قرابة الأربعين بين رجل وامرأة من مختلف طبقات المجتمع المكي وما حوله، ورغم أن أغلبهم من الفقراء والمستضعفين والموالي، لا ينافي وجود سادة أشراف كرام بينهم، كأبي بكر وعثمان وغيرهما، بل إن اتباع النبي ﷺ من قبل المستضعفين لهو دليل من دلائل نبوته، فهذا حال أتباع الرسل في أوائل دعوتهم لا يقصدهم ويؤمن بهم إلا الباحثون عن النجاة بأرواحهم وأجسادهم من عذاب الآخرة والبحث عن الحياة الرغيدة السعيدة في جنان الخلد الفريدة حيث؛ لا نصب، ولا وصب، ولا ظلم، ولا تسلط، وإن ما يدفع الكثير من أغبياء الأغنياء الإعراض عن قبول أمر الله تعالى والخضوع له بالتوحيد؛ اعتقادهم الخاطئ، أن الإسلام سيجردهم من مميزاتهم واختصاصهم بالقوة والتسلط.

كيف لا وهم عبدة الذهب والفضة والحجارة، فصموا وأعموا البصائر عن تذوق حلاوة دعوة محمد ﷺ.

جاء الإسلام بعد الدعوة إلى توحيد الإله وحق عبادته بأن تنسف الفوارق الطبقية وتمحق الخرافة المسمى بالأسياد والعبيد، فصار الجميع تحت رايته سواسية بالتكاليف والحقوق.

الحذر والتأني والاختيار الدقيق المبني على الحكمة العميقة هو ما يميز تلك الفترة، فقد كان النبي القائد ﷺ مقتصرًا في أول الدعوة على الثقات من الأقارب والأصدقاء حفاظًا على السرية حتى لا يتعرض بصيص النور الذي أنار لتوه لمحاولة قوى الظلام إطفاءه آن ذاك، ولك أن تتخيل الكم الكبير من السادة والأشراف الأشداء أصحاب النفوذ الذين لا يقبلون أن يُمس مصدر عزهم وسطوتهم بأي شيء يهدده، وهؤلاء على أتم الاستعداد للدفاع بضراوة عن كيانهم المزعوم.

اعتمد رسول الله ﷺ بعد الله تعالى على مجموعة الأشاوس من أوائل المسلمين لتوسيع دائرة الدعوة في هدوء وتؤدة وحذر في نطاق السرية حتى يتم الحفاظ على الجنين الغالي وإفشال أيّ محاولة لإجهاضه وهذا درس عظيم في الأخذ بالأسباب بعد التوكل على ربّ الأرباب.

في دار الأرقم

عيون متربصة للطريق حذرة، ورؤوس تدور في جميع الاتجاهات، وقلوب تخفق خوفًا وحذرًا؛ هذا هو حال أوائل الموحدين في مكة وهم ينسلون الواحد تلو الآخر ذهابًا أو إيابًا من وإلى بيت الشاب المخزومي (عبد مناف بن أسد)، ابن السادسة عشر ربيعًا، البيت الذي اتخذه رسول الله ﷺ مقرًا لاجتماع المسلمين وتدارس وحفظ ما نزل من الوحي.

أعلم أن منكم من يتساءل كيف يكون في بيت شخص من بني مخزوم مقرًا لهاشمي وبنو مخزوم هم حملة لواء الحرب والعداء ضد بني هاشم؟

ستعرفون الإجابة بمعرفة أسباب ودوفع اختيار دار الأرقم، فهيا معي نطفئ نار حب المعرفة المستعرة.

إن وقت اختيار دار الأرقم كان بعد اراقة أول دم في الإسلام، فقبل اتخاذ المكان الجديد كان المسلمون يخرجون في الخفاء أفرادًا ومجموعات إلى شعب مكة ليعبدوا الله بعيدًا عن عيون قريش، فشاء صاحب المشيئة العظيم أن يرى أحد الكفار جماعة من الموحدين وهم يصلون، فنشب كلام خشن بين سعد بن أبي وقاص وذاك الكافر، فضربه سعد ضربة شجه جراءها وسال دمه،

فكان أو دم كافر أراقه مؤمن، وهنا ظهرت الحكمة والنظرة البعيدة الدقيقة للنبي القائد ﷺ حينما وقع اختياره على بيت الصحابي الشاب كمركز جديد للدعوة يجتمع فيه المسلمون يتلقون عن رسول الله ﷺ جديد الوحي.

قد يقول قائل هذا ليس سببًا مباشرًا لاختيار دار الأرقم بالذات، فأقول: بلى، رعاك الله، واسمع الأسباب المباشرة الآن:

أولاً: الأرقم لم يكن معروفًا إسلامه، فلن يخطر ببال أحد أنّ لقاءً للمسلمين يكون عنده.

وثانيًا، وهو ما أعتقده يهمك أكثر: الأرقم من بني مخزوم وتقدم ما قلناه عن العداء بينهم وبني هاشم، فمن سيخطر بباله أن يكون اللقاء في قلب صفوف العدو وفي حسابات محدودي التفكير وأصحاب القلوب الضعيفة أن يكون محمد ﷺ هناك.

أما آخر الأسباب، فالسن الصغيرة لعبد مناف بن أسد المخزومي ولسان حال كفار قريش كان يقول بالتأكيد لو وصلهم خبر اجتماع الأخيار عنده: كيف يترك أبو القاسم بيوت الأشراف ممن تبعه، ويذهب ليجتمع في دار ذلك الحدث؟

استمر الحال هكذا وأعداد المؤمنين تزداد كقطرات الندى النقية المتساقطة من الأوراق ساعة الصباح وقد كُلف بجمعها طائر الإيمان.

إن الدعوة في هذهِ المرحلة عرفة باسم (السرية)، والجميع كان يحافظ على سريتها قدر المستطاع، لكن خبرها وصل قريشًا بيد أن سادتها لم يكترثوا لأمر أولئك النفر، فهم حسبوا أن رسول الله ﷺ قد اعتنق إحدى الديانات التي تتكلم عن الألوهية وحقوقها كما صنع عمرو بن نفيل قبله، لكن الشيطان لم يترك الأمر يمر، فراح يوسوس في النفوس ويبث المخاوف والشكوك في القلوب مخوفًا أولياءه من ذيوع خبر تلك العصابة وامتداد أمرهم، فبقي المسلمون تحتَ العيون التي مَنى أصحابها أنفسهم، بل راحوا يقنعون بعضهم أن الأيام كفيلة بمحو ذكرهم وستنطفئ نار محمد ومن معه.

مرت بعض سنين والحال على حاله حتى جاء الأمر من صاحب الأمر سبحانه.

ينظر: الروض الأنف ـ ٢/ ٣ـ ٩

ينظر: ما شاع ولم يثبت ـ ٢٩ – ٧٧

أول الخطوات (الدعوة العلنية في مكة).

مرت السنوات القلائل والرسول ﷺ مع صحبه الأوائل الكرام على حالهم من الالتزام قدر الإمكان بالسرية والكتمان حتى أتى اليوم الذي تغير فيهِ الحال عندما نزلَ رسول السماء جبريل (عَلَيْهِ السَّلَام) بأمر جديد هام من الخالق المجيد.. الأمر بإنذار وتبليغ الدعوة علنًا، والبدء بالأقرب من ناحية قربى الدم والنسب.

قال تعالى:{ وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ ¤ وَاخفِض جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ} سورة الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥

انطلقَ فارسنا المقدام (عليه أفضل الصلاة والسلام)، دونَ تردد وبشجاعة وإقدام لينفذ الأمر بالحكمة المعهودة عنه والتي أودعها العليم في قلبهِ.

تجهيز وإعداد حتى صار كلّ شيء معد لدعوة الأقارب من بني هاشم، وبعض بني المطلب للاجتماع في بيت الكريم ﷺ فقُدِمَ خير طعام وسُقِيَ المجتمعون من طيب الشراب الحلال.

أكل القوم حتى شبعوا، ثم شربوا حتى رووا بعدها تقدم الأسد الضرغام الكيس الفطن مفتتحًا الكلام بأرق العبارات وأيسر الكلمات، وكانت دعوته لإنقاذ الأنفس

من الهلاك، والهروب من غضب الله وعذابه إلى رحمته وسعت مغفرته، والنجاة من بحر الشرك المهلك إلى شاطئ التوحيد، لكن لم يجب أحد الدعوة الكريمة، فالنفوس المستمعة لا زالت ضنينة على الخير.

انصرف الجميع إلى ما يشغله من الدنيا إلا العم الحنون الذي عضد ابن أخيه وأعلمه أنَّه لَهُ معين ولمن يريد أن يؤذيه صاد مانع، وله منافح ومن اللحظة هو في حمى عمه المحب إلا أنّ أبا طالب اعتذر عن مفارقة دين عبد المطلب.

سار البطل المغوار ﷺ وهو بين مرتاح ومشفق، فالراحة أن الله سبحانه هيأ لَهُ مَن يمنع الأذى المتوقع من الأقارب والمعارف، أما اشفاقه؛ فعلى الشيخ العزيز الذي حرمَ نفسه تذوق رحيق التوحيد فصار للهلكة مختارًا مريدًا.

وفي يوم غير بعيد عن يوم الوليمة ارتقى أبو القاسم ﷺ جبل الصفا المشهور في مكة، ثم أطلق صوته العطر، فأطلق أول ما أطلق تلك الكلمات التي اعتاد عليها العرب عند التنبيه لأمر مهم خطير: (وا صباحاه)، وأخذ ينادي على بطون قريش بأسمائهم، فيقول: يا بني فلان، ويا بني فلان...

الجميع يتساءل: مَن المنادي؟ مَن المنادي؟

عندما جاء الجواب: إنَّه الصـــادق الأمين اعتلى الصـــفا وأخذ ينـادي لم يحتمل الأمر تـأخيرًا.. هرع النـاس حتى من لم يستطيع الحضـور أرسـل من طرفه من يسـتمع له قول أبي القاسم.

اجتمعت جل قريش لمعرفة ما الخبر.

تكلم مصـباح الهداية ﷺ بصـوت مسـموع فصـيح مفهوم:

أَرَأَيتُكُم لَو أَخبَرتُكُم أَنَّ خَيلاً بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغيرَ عَلَيكُم، أَكُنتُم مُصَدقِي؟

جاء الجواب دون تردد أو ارتياب: نَعم، ما جربنـا عليكَ إلا صدقًا.

قال ﷺ بقوة وعزم ويقين بمن أرســله إلى الناس أجمعين ومن قبلهم عشـــيرته الأقربين: فَإِنَني نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي عَذابٍ شديدٍ.

نطق إبليس قريش بعنجهيـة وكبر يفـت الحجر وكلمـاتـه مغمسـة بالحقد والكره رغم صـلة القربى بينه وبين النذير البشـــير ﷺ.. نعم، إنـه أبو لهـب بن عبـد المطلـب، فقـال الخاسر الأكبر: تبًا لكَ سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟!

لم يرد عليه رسـول الله ﷺ، بل أجاب عنه ربُّه الجبار القدير بآيات معجزات تتلى إلى يوم الدين، فقال ﷻ: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ¤ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ¤ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ¤ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ¤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَّسَدٍ} سورة المسد.

بعد ذلك انتقلت دعوة قمر بني هاشم ﷺ إلى مرحلة جديدة سوف تكون فيها من الأحداث والآيات ما يجعل العقول الواعية تتفكر بما فعل الجبل الأشم ﷺ والتفسير الوحيد؛ هو التوفيق، والتسديد، والتأكيد من رَبٍّ مجيد حميد.

ينظر: تاريخ الإسلام - ٢/ ٦٠

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ١٢٠ – ١٢١

بدايةُ المواجهة العلنية

مكةُ ترتج بأكملها ليس بسبب زلزال أرضي أصابها أو عدو من الخارج دهمها ولا لقتال داخلي اعتراها، بل الأمر أكبر وأجل.

جميع مَن في الطرقات يتكلم وفي الأندية يحكون أيضًا عن الخبر، بل الحقيقة التي سمعها ورواها معظمهم؛ العبيد والفقراء قبل السادة مهتمين.

إنُّه خبر الصادق الأمين.. أجل، خبر محمد ﷺ هو نفسه من عرف عنه قبل سنوات قلائل ادعائهُ النبوة وبدأ يدعو إلى دين جديد، فلم يعره الكثيرون حينها اهتمام إلا أنُّه أخيرًا فعل فعلاً كبيرًا، فقد صرح معلنًا كاشفًا أمره مبينًا مَن أرسله ولمن أرسل، فصار الكبير من قريش متوجسًا والصغير متشوقًا؛ الغني قلق والفقير متطلع، والكل ينتظر مترقبًا.

بينما الناس في حيرة وتساؤل هبط الأمين على الأمين يبلغه بأمر من العظيم جديد.

{ فَاصدَع بِما تُؤمَرُ وَأَعرِض عَنِ المُشرِكينَ ¤ إِنّا كَفَيناكَ المُستَهزِئينَ ¤ الَّذينَ يَجعَلونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ فَسَوفَ

يَعلَمونَ ¤ وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّكَ يَضيقُ صَدرُكَ بِما يَقولونَ } سورة الحجر: ٩٤، ٩٥، ٩٦

لم يكن للنبي المرسل إلا تلقي الأمر بقلب صادق ونفس مطمئنة راضية، فكان منه السمع والطاعة لله ربّ العالمين.

انطلق أبو القاسم ﷺ كسحابة محملة بالغيث بعد سني جدب طوال يدعو إلى سبيل النجاة، توحيد ربّ العباد لا يدخر جهدًا أو فرصة إلا ودعا بها إلى الإسلام مَّن يلقاه مِنَ الناس على اختلاف مشاربهم وألوانهم وانتماءاتهم.

فبينَ حقيقة ما يعبده المشركون، وكشف زيف ادعاءاتهم الكرامات والمعجزات لمجموعة أحجارهم وأخشابهم، وفضح معتقداتهم الزائفة.

كُشِفَ عوار الديانة الشركية، وفُضِحَ زيفها.

اسودت وجوه، واحمرت عيون، وكُشِرَ عن أنياب الكراهية والحنق.

- محمد لطيم الأمس راعي الغنم في الصغر الذي لا أخ لَهُ ولا ابن ذكر ينصره، يضرب بمعول التوحيد بناءنا الذي خلناه عظيمًا، فيحيله في لحظة إلى ركام!! يا للآلهة الكثر، يا لهبل وأساف مع نائلة، يا للات، يا لكل الأحجار

والخشب مع التمور والحلوى والكهنة.. (هذا لسان حال كبار قريش ومن تبعهم بضلال).

أطلق الأسياد ألسنتهم وكلابهم من المرتزقة كخطوة أولى وظنهم أنّهم سيخرسون رعد الحق وبرق الإسلام المتمثل بذلك الرجل الشامخ أمامهم كالطود العظيم ومن معه من جبال اليقين والاعتقاد رغم قلتهم من الأهل والأصحاب.

أخذ أساطين مكة وطواغيتها يستهزءون ويسخرون ويكذبون، وإذا نعق الأسياد نبحت كلابهم ونهقت زبانيتهم.

مكة الآن كبحرٍ جائشٍ في يوم عاصف، والسبب انكشاف عهر دين الشرك الموروث كابر عن كابر، والإسلام سفينة النجاة القوية في وسط تلك الأمواج يقودها محمد ﷺ وعلى متنها الأهل والأصحاب ومن أراد الهرب من عذاب الآخرة سارع ليكون من ركابها.

ازدادت الأمواج عتوًا وفجورًا وسارت السفينة بالركب بحزم وثبات.

فشلت المحاولات، فصار لا بد من الاجتماع والتدبير والتعامل مع الأمر بمستوى من الحزم أعلى، والأخذ بزمام القسوة، فالسخرية ما نفعت والتكذيب ما آتى أكله.

اجتمع المجتمعون في دار نـدوتهم، دار غطرسـتهم، وأخـذت الأفكـار تتنـاثر بينهم، والاقتراحـات تترا على مسامعهم منهم أنفسهم.

ما الحل يا ترى؟ إن يظهر ما يدعو إليه ابن عبد الله بن عبد المطلب أن تنفى الألوهية عما سـوى الإله الواحد، وبـالتـالي خسـائر في الأموال وبوار للتجـارة وذوات الرايات الحمر، وكلّ شـهواتنا تذبل يا للات والعزى، إنَّه لأمر جلل.

بعد طول تداول اتفق المتفقون على الذهاب إلى الشـيخ الذي عضـد ابن أخيه وسـنده، والطلب منه كف ابن أخيه عما فيهِ من تسفيه للآلهة المعظمة الموقرة عندهم.

لم يضيع سادة قريش لحظة بعد إيجاد الخطة، فوفدوا إلى أبي طـالـب، وأخـذوا يعوون وينبحون عنـده في كلام مضـمونه التباكي والاسـتجداء تارة، والتهديد والوعيد وابراز طغيانهم أخرى، متذرعين أن ابن الأخ ضـلل أبناءهم ونال من آلهتهم محاولين حجب الشـمس بغربال مهترئ وهم يعلمون يقينًـا أن فراق الأبنـاء عن الآبـاء وعصـيان العبيد الأسـياد لدخول الحقّ القلوب وشـق الإيمـان طريقـه إلى الأرواح، فـأمطرت النفوس بحلاوة ذلك الدين وأزهرت بستانًا من الرياحين.

ما كان للشـــيخ الكيس الفطن إلا ردهم ردًا جميلاً، وتكلم معهم كلامًا لينًا مســـتغلاً مكانته عندهم وأنُّه على دينهم، فانصـــرفوا عنه غير مقتنعين متظاهرين بالرضـــا على مضـــض عـائـدين إلى وكرهم دار النـدوة وإبليس الجنّ دليلهم وإبليس الإنس أبو لهب حادي ركبهم ومعه أبالســة أخر كأبي جهل (عمرو بن هشـــام)، وغيره، ليعدوا العدة لخطط جديدة هدفها القضـــاء على الدين الجديد ونبيه والحفاظ على المقدســـات المهترئة والمكاســـب المالية الغالية، فموســـم الحج اقترب وعلى الجميع العمل بعزم للهـدم، والوقوف بوجـه جمـاعـة الموحـدين ونبيهم وإلا ســـينتصـــر الحقّ على بـاطلهم وتنهـار أربـاحهم وتولي مكاسبهم وسيادتهم.

_ . _ . _ . _ . _ . _ . _ . _

لا بد للمقام من مقال مهم: إن رسول الله ﷺ بعث في فترة حرجة جدًا لم يبعث نبي أو رســـول في مثلها من إخوانه الذين سبقوه، فهو ﷺ بعث في زمن بعدت عنه الرسالات الســـماوية لانقطاعها منذ قرون، فبين مبعثه ﷺ وســـيدنا عيسى ابن مريم (عَلَيْهِ السَّلاَم) ردحًا مِنَ الزمن ممّا جعل الشـــركَ يتوغل في النفوس واليقين بأنّ أهل الباطل على حقّ قد تأصـل في العقول، كذلكَ تلاعب أهل الكتابِ؛ من

يهود ونصارى بشرائعهم وتحريفهم عقائدهم، فبات دينهم غير بعيد عن دين عُباد الأوثان من العرب والعجم، فاضحت جزيرة العرب مرتعًا للكفرِ ومنبتًا للشركِ، فما لبث أن يصدح نور الحقّ المتمثل بنبوة محمد بن عبد الله ﷺ حتى ارتجفت النفوس المريضة وخِيفَ على المصالح الدنيوية من الضياع لذا كتم اليهود والنصارى الخبر بعد ما كانوا يتباهون أنّ خاتم الأنبياء قَرَبَ ظهوره وفي أماني أنفسهم أنَّه سوف يبعث منهم وفيهم، فصاروا على رأس من يؤلب على النبي الأمي ومن يتبعه ويصدرون الأكاذيب والادعاءات لصد الناس عنه تارة، ولتشجيع آخرين على قتله تارة أخرى، متناسين أنّ الله تعالى متم نوره ولو كره المبطلون والمنافقون والمشركون.

الحمد لله أن جعلنا من أمة خاتم النبيين الصادق الأمين قائد ركب الغر المحجلين.

ينظر: فقه السيرة للغزالي - ٧٢ – ٧٧

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ١٢١ – ١٢٢

أحداثٌ في هذهِ المرحلةِ

بعد ربط سيد بني هاشم مصيره بمصير ابن أخيه التفت حوله العشيرة عصبية لا إيمانًا وتصديقًا بما جاء به ابنهم محمد ﷺ.

اجتمع عمالقة الكفر وأخذوا يتحاورون ويجولون ويصولون في الأفكار والكلام، وإبليس اللعين هو مجذاف زورق غيهم ومكرهم.

انتفض أحد أبالسة الإنس صاحب المال والعز والنفوذ ذو السن الكبير، فبدأ كلامه بالتذكير أن موسم الحج اقترب، والعرب ستفد إلى مكة لتطوف بالبيت العتيق، وتذبح النذور، وتقدم القرابين للآلهة حتى تحصل على البركة، وقد نمى إلى مسامع كثير منهم خبر المبشر المنذر مَن يريد جعل الآلهة إلهًا واحدًا.

قال الوليد بن المغيرة: يا معشر قريش، إنَّه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا.

أجاب القوم على كلام أسنهم وفي الكفر أبلسهم قائلين: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيًا نقول بهِ.

أبى الداهية ابداء الرأي حتى يسمع آراءهم وينظر ما في جعبهم، فقال: بل أنتم قولوا أسمع.

قالوا: نقول عنه كاهن.

على الفور قال الوليد مستنكرًا: ما هو بكاهن، لقد رأيتُ الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه.

تفكروا وأتوا بالرأي الثاني وهم يظنون أنَّه الأقرب للصواب والاستحسان وبهِ مِنَ المأزق الهرب، فقالوا: نقول مجنون.

قال الأسن وعلامات الانزعاج عليه بدت، وخيبة الأمل تلفه لفًا: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته.

علت الحيرة الوجوه، ومضى بعض الوقت حتى انطلق الصوت بالرأي الجديد عله يرضي ذلك الإبليس، فقالوا: نقول شاعر.

فرد رأيهم بقوله: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر؛ رجزه، وقريضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر.

أعييت النفوس وكلت العقول، واستنفدت الطاقات في التفكير أو كادت، لكن شياطين الإنس لا تمل ولا تكل

تؤزها شياطين الجن التي يحضر المجلس كبيرها ويتابع المجريات بشغف.

قال أحد الحاضرين: فنقول ساحر.

كبير المقام في الشرك لا زال مصرًا على الرفض وعدم الاقتناع، كأنَّه يسعى لجعل الحل مستحيلاً أو شبهه، فقال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه، ولا عقده.

اسقط في أيدي القوم، ورفعوا راية استسلامهم الملطخة بالعار، فقالوا: فماذا نقول يا أبا عبد شمس؟!

انتفض الشيخ منتفخًا وحدق، ثم أطرق وتلفت يتصفح الوجوه ليتأكد من أنّ الاسماع متشوقة لسماع الحل، ثم أطلق لصوته العنان وما قدر إلا أن يقول الحقّ رغم الغاية الباطلة التي يرومها، فقال: والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ أصله لعذق، وإن فرعه لجناة – أي: ما يجنى من طيب الثمار – وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنَّه باطل، وإن أقرب القول لأن نقول: (ساحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته وعشيرته).

الجميع أيد وبارك، ثم انطلقوا يخبرون ويأمرون وينشرون ما وصلوا إليه.

في مكان آخر حيثُ رسول الله ﷺ وقبل أن ينتشر ما اتفق عليه سادة قريش نزل الروح الأمين على قلب خير خلق الله أجمعين ليخبره ويبلغه بما حصل، وفي الوقت ذاته يبشره بأنّ ربُّه العليم قد كفاه المستهزئين، وسيمحق الكافرين وتحديدًا ذلك الشيخ الكبير في السن الذي عرف الحقّ وخالفه بعنجهية وكبر.

قال تعالى: { ذَرني وَمَن خَلَقتُ وَحيدًا ¤ وَجَعَلتُ لَهُ مالاً مَمدودًا... الآيات} سورة المدثر.

رغم التحشيد الكبير وتكريس الجهود وبذل الأوقات والأموال لم تفلح الحملة الإعلامية في تشويه صورة النبي ﷺ وتناثر ذلك الطوق الإعلامي من الشائعات والكذب وتشظى في الصحراء الشاسعة، ويأبى الواحد الأحد إلا نصر عبده النصر تلو النصر، ويحبط كيد ومكر الأبالسة من إنس وجن.

كانت تلك الأجساد بملابسها الفاخرة والحلي عليها والعبيد بين مظلل لسيده ورافع ذيل ثوبه وحاف به تجوب طرقات مكة تستقبل كلّ زائر حاج أو تاجر تحذره ممّن

زعموا أنّه ساحر معتمدين على الادعاءات الباطلة والتلفيق علهم يصرفون الناس عن محمد ودعوته ويحفظوا لجيوبهم هيبتها، فهي من غير أن تحشى بأموال القادمين كلّ عام لا فائدة منها، وكذلك يحافظون على مكانة حجارتهم التي يعبدون أن تعاب من خلال صرف الأسماع عمّن عَرّاهم ودينهم الشركي، لكن هيهات، ثم هيهات، فقائدهم طمعهم وعمى بصيرتهم وموجههم إبليس.. أما محمد ﷺ فناصره القوي المتين الذي يمحق بقدرتهِ الدسائس والمؤامرات.

نجح النبي الأمي، نجح من كان في الأمس يرعى الغنم، نجح من فقد الأب والأم، نجح أسد بني هاشم في دعوته، فها هنا يتكلم مع أحدهم، وهناك يخطب ببعضهم، والعقول الصحيح مأسورة مشدودة لعذب الكلام وصدق الخطاب، والقلوب المتعافية مبهورة، والأسماع مشدودة والوجوه فرحة مبتهجة.

كلامه آسر وقوله طيب، كيف لا وهو كلام رب الأرباب من فوق السبع الطباق.

فشل زعماء قريش وأذنابهم عظيم فشل في مؤامرتهم، فعادوا لاجتماعهم والحنق والحقد وقودهم وكالعادة بيت دسائسهم دار ندوتهم.

الكلام محتدم والوجوه محتقنة، وســـيكون التدبير والمكر مختلفًا هذهِ الكرة.

ينظر: الروض الأنف ـ ٢/ ١٢

ينظر: فقه السيرة للغزالي ـ ١٨٤

بقلم(ك)للنشر الإلكتروني

لسانُ حال السادة بعدَ الصد والمنع من قبل أبي طالب وآل هاشم

الوجوه تقابل الوجوه، والعيون تراقب العيون، والأفواه تنتظر الأفواه.. الآذان ترهف متربصة لأيّ كلمة تنطق، ثم بكبر وغرور الألسن أطلقت الكلمات التي تعج بها الصدور.

ـ لقد نفد صبرنا، وقد فعلنا ما في وسعنا، وما بقي الآن أمامنا سوى تغيير طرق التعامل والشد والعقد والأخذ بالحزم والقوة والضرب بيد من حديد أصحاب الدين الجديد، فإن كان زعيمهم ورئيسهم قد مُنِعَ عنا بذلك الشيخ العنيد وكذلك مَن آمن بهِ من أهل المقامات الكريمات عند قومهم، فلا مناص من الوصول إلى الضعفاء من الفقراء والمستضعفين والعبيد، فنفتنهم عن دينهم ونردهم عن غيهم، فتتحقق لنا المهابة ونعيد تاج السيادة.. ثم تكمل النفوس المريضة بث سمومها: أما الصابئ محمد، فلنا معه شأن آخر، فرغم منعه بعمه وأهله، لكن التسفيه والسخرية والاتهام بالجنون تارة، وبالكهانة أخرى سيكون نصيبه.

اتفق المجتمعون في دار المكر على التشنيع بمحمد ﷺ وكيل التهم لَهُ علهم يكسرون نفوس أصحابه ويخذلونهم

أو يبعدون على أقل تقدير من تهفو نفسه لاعتناق دينه، فمرة يطعنون بما جاء بهِ ويقولون: أيريد جعل الآلهة الكثيرة العديدة إلهًا واحدًا، إنه لشيء عُجاب؟! ومرة يقولون: رجل أصاب الجنون منه شر مصاب، مسكين ابن العمومة.

ومرة صياح وصراخ: ما جاءكم بهِ ابن عبد المطلب لأساطير الأولين وحكايات الأقدمين، فمالكم كيف تصدقون؟!

تصدر لأمر الأساطير الكافر الشرير (النضر بن الحارث)، فتعلم وسمع من أهل الكتاب ومن الفرس والعجم وغيرهم الكثير من خرافاتهم وقصصهم، ثم راح يدعي أنُّه يقول كلامًا مثل قول محمد ﷺ.

انطلقت النفوس المريضة والقلوب السوداء المليئة بالأضغان والأطماع تحارب التوحيد وتعاند كلام الحميد المجيد، فهم يكذبون الآخرة وينكرون يوم القيامة ويدعون أن الملائكة بنات الله (حاشا وكفى).

قريش يقودها أبو جهل الجهول، وأبو لهب الخاسر، والوليد بن المغيرة وغيرهم ممن كان الضلال والهلاك فجهم، فقرروا نزع قناع المحايلة والمداهنة، وخلع رداء الفطنة والصبر وإظهار وجوههم الحقيقية.. بدأت مرحلة

جديدة مختلفة عما سبق يدفعها دافع الحقد على إنسان لم يطلب منهم إلا اتباع الخير للنجاة بأنفسهم وعيالهم من نارٍ لا قرار لها، وعذاب لا نهاية لَهُ.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام - ١ / ٣٠١

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

المواجهة

ما تعرضَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ مِن أذًى

رغم الكبرياء المغمس بالغرور المشحون بالحقد والفجور إلا أنّ مهمة القوم ليست بالهينة اليسيرة، فأبو القاسم ﷺ رجل مهيب وقور يعتجر الشهامة، مهاب، تحذر الأنفس من مسه بحرف أو التطاول عليه بفعل، فما من صاحب عقل رشيد يجرؤ على قول مباشر أو فعل، لذلك كان لا بد من الخسة والدناءة لتنفيذ المهمة، فصدر أبالسة قريش أمثال أبي جهل وأبي لهب ومن تبعهم على ضلالة وفجور مجموعة من الشراذم السفهاء، بل من شدت الغيض نزع أبو لهب ومن على شاكلته عمامة الوقار المصطنع وصار ضمن أهل السفه والتخبط.

قام أبو لهب بأمر أسعده معتقدًا بهِ النيل من محمد ﷺ عندما أمر ابنيه عتبة وعتيبة بتطليق بنتا رسول الله ﷺ أم كلثوم ورقية.. وصل الخبر أبا القاسم، ففرح بِهِ وسعد بتخلص بنتيه الطاهرتين العفيفتين، لكن مواقف سيد السفهاء أبي لهب العم الحاقد الجاحد لا تتوقف ولا تنتهي، فالحقد ملأ القلب المتحجر والكره الممزوج بالحسد أشعل الروح اللعينة، فانتهز خبر موت الطاهر عبد الله بن

محمد بن عبد الله ليطوف على أندية مكة يعلن فرحه وسروره بأن محمدًا صار أبتر لا عقب له من الذكور، فلطم اللعين بكلام يتلى مادامت شمس تشرق على أرض.

{ بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ إِنّا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَر ۝ إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ } سورة الكوثر، فكان ما قال الواحد القهار ﷻ.

لم يكتفِ العم الحاقد بما تقدم من تكذيب ومحاولات مستميتة لكسر السيف البتار الذي جاء ليهدي الأمم ويدفع الظلم.

وقعَ أبو لهب فيما كان يدعي العفة عنه، فبات في السفه المتصدر، بل حتى الصغار ترفعوا عما كان يقوم بهِ، فها هو يمسك بالحجارة كالمجانين ليرمي بها سيد خلق ربّ العالمين ﷺ ويدمي عقبيه الشريفتين ظننًا أنُّه بفعله الدنيء سينال من ابن أخيه.

أما حمالة الحطب زوجة إبليس العرب (أم جميل بنت حرب)، لا تختلف في سفهها وحقدها على خير البرية المجتبى ﷺ، فكانت تحمل الشوك وتلقيه على طريق النبي ﷺ وتوظف لسانها السليط في النيل من الصادق الأمين وتفتري عليه وتدس الدسائس وتؤجج النفوس

المريضـــة عليه، فكان جزاءها يرعب العقول ويســـلب الألبـاب، قـال تعـالى: { وَامرَأَتُـهُ حَمَّـالـةَ الحَطَـبِ ¤ فِي جيدِها حَبلٌ مِن مَسَدٍ } سورة المسد: ٤، ٥ .. ما أصبرها على ما ينتظرها!!

عندما سمعت الشمطاء حمالة الحطب كلام ربّ العالمين في حقها ارتجفت واغتاظت، وارتعبت، وزادها ما سـمعت وعقلت كفرًا وضـلالاً، فحملت ملأ كفها حجارة وانطلقت إلى الكعبة حيثُ رســول الله ﷺ يجلس مع صاحبه أبو بكر (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، فلما وقفت عليهما أخذ الله بذلك البصـــر الآثم، فوجه الحبيب أعظم من أن تراه العينان الملعونتان.

قالت أم جميل بصوتها المقزز وهي تخاطب أبا بكر: أين صـــاحبك؟ قد بلغني أنُّه يهجوني، والله لوجدته لضـــربت بهذا الفهر فاه - تقصد ما في يدها من حجارة.

هذا نزر بســـيط ممّا نـاله الرســـول الكريم ﷺ من تلك العائلة.

أمـا الآن مع كـافر آخر نطـالع معًـا صـــورًا من حقده ومحاولته إطفاء النور الذي أشـرق على الدنيا.. أبو جهل عمرو بن هشام أحد سادة الكفر في قريش.

ها هو محمد بن عبد الله ﷺ يتلو كلام ربِّه رطبًا، فيجيء أبو جهل يسمع كلام الله، ثم يذهب عنه، فلا يؤمن ولا يطيع ولا يتأدب ولا يخشى، بل ويزيد على ذلك بإطلاق لسانه بالقول ويصد عن سبيل الله تعالى، ثم يعود أدراجه إلى أشباهه وقد ركبه الكبر وعلته الخيلاء فخورًا بما ارتكب من كفر، وفيه نزل قوله سبحانه: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلّى ¤ وَلَكِن كَذّبَ وَتَوَلّى} سورة القيامة: ٣١، ٣٢

وهاكم أيّها الأحبة موقفًا آخر لأبي جهل مع خليل الرحمن ﷺ.

بينما رسول الله ﷺ يصلي عند المقام جاء المغرور المغتر بماله وجاهه وسلطانه، فقال بكبر وعنجهية: يا محمد، ألم أنهكَ عن هذا؟

ثم انهال يتوعد ويهدد ويرعد ويزبد بفاحش الكلام وحقيره، فرده بطل الأبطال الذي لا يهاب إلا ربّ العباد.. انتهره رسول الله ﷺ ممرغًا تلك العنجهية بوحل الخزي والعار وتوعده وأغلظ عليه، لكنّ كبر الكفر لا يعرف الحدود ولا يرتدع، فقال وقد زاد في الكبر وعلت نبرة صوته مزمجرًا: يا محمد، بأي شيء تهددني؟! أما والله أنا لأكثر هذا الوادي ناديًا - يقصد بهم أهل مجلسه

وأنصـــاره من عشـــيرته ومناصـــرين - فجاءه الرد من الواحد الأحد ســبحانه: {لَّئِن لَّم يَنتَهِ لَنَســفَعًا بِالنَّاصِـيَةِ ۝ فَلْيَدعُ نَادِيَهُ ۝ سَــنَدعُ الزَّبَانِيَةَ} ســورة العلق: ١٥، ١٦، ١٧

وفي أحد الأيام وبينما عمرو بن هشـــام جالسًـــا بخيلاء منتفخ الأوداج بين نفرٍ من ســادة قريش يذكر رســول الله ﷺ.. قال: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟

أجابه من حوله بنعم.

قال بعد أن ملأ صـــدره من هواء الحقد: واللات والعزى لئن رأيته لأطأنَّ على رقبته، لأعفرنْ وجهه.

وبينما كان يقســـم بحجارته وأخشـــابه جاء داعي الحقّ وشـــرع في صـــلاته في مكانه المعتاد، فانطلق زعيم الفجور والجور لينفذ ما قطع على نفسه من أيمان مغلظة، زعم، فما كاد يصـل حتى نكص مذعورًا هاربًا وقد فرت شـــجاعته منه وســـبقت رجولته قدميه وكاد ينخلع قلبه وتنســـل روحه، فحكى وجهه قبل اللســـان الكثير من قصص الرعب.

استقبله الجمع الذي كان يقسم عندهم وقد علت وجوههم علامات التعجب والاستفهام لأمر بطلهم الهمام، فسألوه بصوت مرتعد: ما لك يا أبا الحكم؟!

أجابهم بعد أن استجمع الحروف ولظم الكلمات لتفهم وأنفاسه لاهثة ودقات خافقه تكاد تسمع من خلف الأضلاع: إن بيني وبينه لخندق من نار وهؤلاء أجنحة.

أجل، إنهم الملائكة الكرام الذين أرسلوا من القوي خالق الأكوان ولو دنا أكثر لتخطفه الملائكة عضوًا عضوًا.

والمواقف ممّن ماتت قلوبهم وغرتهم دنياهم بأمانيها الزائفة كثيرة لا تعد ولا تحصى، فهذا أحد الملاعين السفهاء (عقبة بن أبي معيط) - عليه من الله ما يستحق من اللعنات - يأتي بسلا جزور، فيضعه على ظهر الطاهر المطهر ﷺ حين سجد عند الكعبة بعد أن تبرع - الملعون - بهذا الفعل الشنيع لينال رضا أسياده الأبالسة، فباء باللعنات تترا حتى الأبد ومسكنه قعر جهنم مخلد.

ضحكَ الأسياد من فعل سفيههم حتى تمايلوا بعضهم على بعض من فرط ضحكهم وبطرهم وسيد بني آدم ﷺ ساجدًا لا يرفع رأسه حتى أتت أم أبيها فاطمة بنت محمد -رضي الله عنها- وطرحت سلا الجزور عن أبيها، فرفع

ﷺ رأســـه، ثم قال: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بأَبِي جَهْلٍ، وعَلَيْكَ بعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وشَـــيبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، والوَلِيدِ بنِ عُتْبَةَ، وأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وعُقْبَةَ بنِ أبِي مُعَيْطٍ)١.

انقلب الضـــحك إلى فزع والتمايل إلى جمود.. شـــاهة الوجوه وبهتــة النفوس، ثم تمكن الخوف من الأرواح الآثمة.

وسوف نرى في قادم الأحداث أنّ نهاية أولئك كانت أسوء نهاية.

هذا أمية بن خلف أحد السادة إذا رأى رسول الله ﷺ شتمه وعابه وآذاه بكلامه، فأنزل الله فيه كلام يتلى حتى يوم يلتقي الخصوم عند العدل تبارك وتعالى يعلن فيه أنه من الهالكين الخالدين في الجحيم إلى أبد الآبدين، قال ﷻ: (وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ¤ الَّذي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ ¤ يَحسَبُ أنَّ مالَهُ أخلَدَهُ ¤ كَلا لَيُنبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ ¤ وَما أدراكَ مَا الحُطَمَةُ ¤ نارُ اللهِ الموقَدَةُ) ســورة الهمزة: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦

والكلام في إيذاء قريش لرســـول الله ﷺ كثير لا تســـعه الصـــفحات وقد ســـطر حبيبنا خليل الوهاب ﷺ أروع المواقف في الصــمود والشــجاعة ولعلي أختم الكلام في

هذا الجزء بحادثة لها من المعاني العظام الكثير الكثير ومن الدروس ما يحتاج لمجلدات في التسطير والتدوين.

بينما قريش مجتمعون يتجاذبون أطراف الحديث عن الحدث الأهم - محمد ﷺ ودعوته - وكيف أنَّه نسف عقائدهم إذ أقبل غريمهم ومن أعلنوا له العداوة وأراد هو لهم الهداية.

كعادته ﷺ بدأ بالبيت العتيق يطوف، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول واستمروا بغمزه ولمزه حتى طاف الثالثة، فجاءتهم الصاعقة بكلمات خرجت من أطهر فم، قال الصادق المصدوق لهم: (أَتَسمَعُونَ يا معشرَ قريشٍ، أما وَالذي نفسُ محمدٍ بيدهِ قد جئتُكُم بالذبحِ) ٢.

صاعقة نزلت على الأسماع، فبهتت الوجوه وشاهة النفوس وتضاءلت الأعناق وتقزمت الأجسام، فعم الصمت القوم كأنّ على رؤوسهم الطير، ثم تداركوا بالقول في عجالة وارتجاف: انصرف يا أبا القاسم – والطلب هنا التماس لا أمر – فو الله ما كنتَ جهولاً.

لا والله ليس حبيبنا ﷺ بجهول، لكنَّه بطل غيور لا يخاف أحدًا إلا الله ويقول الحقّ وما يرتجف له جفن حتى لو اجتمعت عليه كلّ الأبالسة وهددوه.

ويمضي خليل الرحمن قدمًا في تبليغ الرسالة ويقينه بربُّه أنُّه ناصره لا محالة.

1- صحيح البخاري – كتاب الوضوء – باب: إذا ألقي على ظهر المصلي قذر – رقم الحديث ٢٤٠

2- صـــحيح الموارد للألباني – رقم الحديث ١٤٠٤ – حديث حسن. ينظر: الروض الانف ـ ٢ / ٤٠

ينظر: الرحيق المختوم ـ ٨٥ – ٨٩

بقلم(ك)للنشر الإلكتروني

ما تعرضَ لَهُ صحابةُ رسولِ اللهِ من أذى قريش

أصحاب رسول الله ﷺ على قسمين، فمنهم ذو المنعة بقبيلته لا يتعرضون له كما يتعرضون لأولئك الضعفاء من فقراء ومساكين ومستضعفين وعبيد لا زالوا يعانون نير العبودية، فكانت القبائل من قريش تضطهد وتعذب أولئك وتمنع عنهم الطعام والماء، وهم يُعذبونهم في رمضاء مكة إذا اشتد الحر.

نستعرض بعضًا من تلك الصور الكثيرة للأفذاذ الذين اختاروا ما عند الله وزهدوا بالفانية.

نبدأ بعمار بن ياسر: هو أحد موالي بني مخزوم، وهو من السابقين إلى الإسلام.. تعرض للتعذيب في الرمضاء وأمه وأبيه، وأمه سمية قتلها أبو جهل بحربة، فكانت أول شهيدة في الإسلام، ولشدة ما تعرض له ورؤية موت أبيه وأمه أمامه اضطر إلى النيل من رسول الله ﷺ بالكلام، لكنّ قلبَهُ عامرٌ بالإيمان فلم يلام، ولا عوتب على ما قال.

وهذا بلال بن رباح؛ العبد الحبشـي، عبد لأمية بن خلف؛ أحد زعماء قريش، وأحد حاملي لواء الحرب ضد رسول الله ﷺ وأصحابه.. عُذب بلال في رمضاء مكة، فضُرب وجُلد وقُلب على الرمال الملتهبة الحارقة و وضُـع الصخر على صدرهِ في محاولة لفتنه واجباره على ذكر نبيه وربِّه بسوء ومدح أصنام المشركين، فما سُمع منه إلا قوله: أحد أحد.

ننتقل الآن إلى فارس آخر من فرسان التوحيد المتمسكين بدينهم، الصـابرين على حالهم، الغائظين لأعدائهم.. (خباب بن الأرت)، كان عبدًا لـ(أم أنمار الخزاعية)، يعمل في صناعة السيوف.. وهو من حذاق هذهِ الصناعة، فلما أسلم وعُلِمَ إسلامه لقي من العذاب ما لا تصبر عليه أقوى المخلوقات، بل لو كان جمادًا وعذب عذاب خباب لصرخ مستنجدًا طالبًا العفو والسماح، لكنّ الإيمان عندما يستقر في القلب وتنبت شجرته وتكبر تثمر ثباتًا وإيثارًا في سبيل الله، فيرخص الجسد وتهون الدنيا بما فيها، وتصمد النفس التي تتوق أنّ تزهق في سبيل باريها علها تحظى برحمته سبحانه، فتدخل الجنة العالية ذات القطوف الدانية.. كان عدد من فتيان خزاعة يرأسهم "سباع" أخو أم أنمار يقومون على تعذيب خباب، وأيّ تعذيب! ضربٌ بمطارق الحديد، وتحريقٌ بالنار ذات

اللهيب حتى أنّهم يأتون بالحجارة المحمية بالنار ويضعونها على ظهره، فيبقى البطل خباب صامدًا متماسكًا لا ينثني أو يلين.

وإلى فارس آخر من فوارس الإسلام: (صهيب الرومي)، وصهيب عربي الأصل من "نمير" وانتسابه للروم لأسرهم إياه واستعباده حتى كُتِبَت لَهُ النجاة منهم بالهرب والالتجاء إلى ديار العرب، ثم الاستقرار في مكة مشتغلاً بالتجارة، فجنى من الأموال الكثير، وعندما سمع منادي الإيمان ينادي كان من أهل السبق وقد ثبت في وجه التحديات، وضحى بالغالي والنفيس في سبيل الفوز برضى الواحد الأحد وكفاه قول النبي ﷺ لَهُ عندما أعطى كل ما يملك من أموال في سبيل تركه يلتحق بحبيبه: (رَبِحَ البَيْعُ أَبَا يَحْيَى).

خذوا من هذهِ النماذج المشرفة العدد الكبير مما لا تسعه المجلدات.

ينظر: صور من حياة الصحابة ـ ١٩٥ ــ ٤١١

ينظر: فقه السيرة للغزالي ـ ٧٩ ــ ٨٢

ينظر: صحيح السيرة للألباني ـ ٧٨

أرض أصحمة

إنّها السنة الخامسة منذُ يوم بعث البشير النذير إلى العالم بسراج منير.

في دار الندوة يتحاور السادة ويتجاذبون الحديث والهم قد علاهم والحيرة وطأت عقولهم بنعلها.

كيف يحصـــل ذلك رغم ما فعلناه ونفعله بمحمد ومَن تبعه؟! لا ينثنون ولا يلينون، بل يومًا بعد يوم يزدادون عددًا واصـرارًا على مواصـلة الطريق الذي زعموا إنَّه يوصلهم إلى الجنّة عند الإله الواحد.. يا للعجب العجاب.. تعذيب وسـحل وجلد وسـمل أعين وحرق جلود وضـرب سـياط وتشـهير وتكذيب وأكثر من سـتين وثلاثمائة من الآلهة تُعبد وتقدم لها القرابين ولم يُجدِ ذلك نفعًا! يجب إيجاد حل، لا بد من سبيل يُسلك للوصول إلى المراد.

في الجانب الآخر حيثُ المسلمون المستضعفون لا زالوا يجتمعون في دار الأرقم ينهلون التعـاليم من معلمهم ويسـتمعون لخبر الوحي أولاً بأول، لتتلقفه الأسـماع وتسعد القلوب بسماع كلام الربّ المعبود يتلى رطبًا كما أنزل على لسـان نبي الرحمة محمد ﷺ، والنبي يؤسـفه حال أصحابه ويتألم واليقين ثابت بإنجاز وعد الله سبحانه وأنّهم ظاهرون.

العودة إلى دار الندوة...

ما زال الجمع مجتمع، والكلام يدور والآراء تترا لإيجاد حل جديد، للخطب المستفحل، فجاء الاقتراح بعد طول نباح.

انطلق كلّ من النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط يجدان السير على ظهر الراحلتين حرصًا منهما على قطع المسافة الطويلة للوصل إلى البغية وإلقاء ما في الجعبة لعلهم يملؤون قرب حقدهم ومكائدهم ويأتون بما يروي غطرست أسيادهم.

الوجهة يثرب حيثُ يهود يعيشون ليلقوا بخبر مدعي النبوة محمد ﷺ الذائع خبره عندهم ممنين النفس إيجاد حل أو نصح.

عندما وصلوا تكلموا، ووصفوا، وتحدثوا، وأخبروا عَن التفاصيل على مسامع أحبار اليهود، فجاءهم جواب الأحبار دونما تحير ولا انتظار: سلوا صاحبكم عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بخبر صادق عن هؤلاء، فهو نبي منبأ من السماء.

رجع المبعوثان إلى مكة، ثم انطلق الكفار إلى رسول الله ﷺ، وهم يعتقدون أنّهم يحملون سيف انتصارهم اللامع البتار.

جاء الرّد من ربّ السماوات والأرض بعد خمسة عشر يومًا عاش فيهِ سفهاء قريش من أسياد وتَبع نشوة نصرهم المزيف مدعين؛ أنّ محمدًا ﷺ قد واعدهم وأخلف، لكنّ الله (تبارك وتعالى)، فعال لما يريد، فالتأخير كان لحكمةٍ بالغة عظيمة.. لو جاء الرّد في اليوم التالي كما وعدهم رسول الله ﷺ عندما ألقوا أسئلتهم، لقالوا ما قالوا ولطعنوا أكبر الطعون، لكنّ هذا التأخير دليل يقيني؛ أنّ القرآن ليس من عند أبي القاسم ﷺ ولا ينبغي لَهُ التقول على الواحد القهار ﷻ.

نزلت سورة الكهف، وفيها خبر الفتية، والرجل الطواف، ونزل قوله تعالى في سورة الإسراء: { وَيَسأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلاّ قَليلاً } سورة الإسراء: ٨٥

بعد سماع الحقّ البين امتطى الأرواح الكبر، وبدل الإذعان للحقّ الذي دمغهم دمغًا، ازداد تطاولهم وتجاوزوا في النيل والافتراء..

"الله المستعان إذا ران على القلوب الكفر".

لم يكن المسلمون وقائدهم معتقدين إلا أنّ مع المحن منح، ومع الابتلاءات عطايا وتيسير، فالنفوس المؤمنة مطمئنة وموقنة بأنّ وعد الله تعالى ناجز لا محالة، وإن لم تره العيون حقيقة الآن، فسيكون واقعًا عاجلاً أم آجلاً.

في ظل ضوضاء الشرك وعويل الكفر برز رسول الله ﷺ كقائد ذي نظرة استراتيجية حين اتخذ القرار المهم السديد: ارسال عدد من المسلمين إلى مكان فيهِ أمن لهم لا سطوة لسادة قريش فيهِ، وبناء على هذا يجب استبعاد أيّ بلاد تتبع للإمبراطورية الفارسية أو الرومانية، بلاد لا يعبد أهلها الأوثان، فوقع الاختيار الموفق على الحبشة تلك البقعة الواسعة من الأرض التي تدين بالنصرانية، ويحكمها النجاشي ١ (أصحمة).

في جنح الظلام وعيون أبالسة قريش وسفهائها قد أعماها الله تعالى عن عباده المؤمنين؛ انطلق اثنا عشر نفرًا من الرجال، وأربع نسوة على رأسهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، ومعهم أيضًا عثمان بن مظعون، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وآخرون، وكان ذلك في إحدى ليالي شهر رجب من السنة الخامسة من بعثة رسول الله ﷺ.

واصلوا السير وجدوه حتى وصلوا (ميناء الشعيبة)، فركبوا البحر في سفينتين للتجارة قاصدين الحبشة، وبعد تسليم الله تعالى لهم وحفظه، فطنت قريش بأمرهم، فحاول عدد من فرسانها اللحاق بهم لردهم، فاخزاهم الله تعالى ونجى عباده الموحدين.

أقام أوائل المهاجرين في سبيل الله سبحانه في الحبشة آمنين على دينهم وأعراضهم وأنفسهم في أحسن جوار.

ازداد الكفار غيظًا على غيظهم، وانتفخت أوداجهم حقدًا، واستمروا يمارسون التعذيب والتنكيل بمَن يلتحق بالإسلام ممّن تطاله الأيدي، وتقدر عليه السطوة والجبروت.

مرت الأيام الصعاب حتى شهر رمضان من السنة نفسها، فشجر أمر مهم.

ما زلنا في السنة الخامسة من البعثة المباركة، ونحنُ الآن في شهر رمضان.. في أحد أيام هذا الشهر المبارك خرج رسول الله ﷺ كعادته قاصدًا البيت العتيق، وما إن هل على الحرم بوجهه الصبوح حتى بدأت العيون تراقبه والأسنان تصطكُ ولسان حال تلك النفوس يقول: آه لولا الشيبة الذي منعنا عنكَ لأذقناكَ ما ذاق أتباعكَ من لهيبِ الرمال، ولسع السياط، وطحن الصخور للعظام، بل ولشوينا جلدكَ، ونزعنا لحمك، لكنّ هيهات.. كلها أمنيات.

ما إن وصل رسول الله ﷺ مكانهُ المعتاد في وسط الحرم حتى نظر حوله ليرى العيون التي تتبع خطواته، فانطلق الصوت الندي يردد تلاوة آيات الرحمن، فما سمعت أذن الكلام حتى تحركت القلوب ورقت، فما استطاع السفهاء ولا أسيادهم التشويش عليه ﷺ كعادتهم.

بدأ رسول الله ﷺ يتلو سورة النجم، فشاء الرحمن الرحيم أن يُسمع كلامه أولئك القوم، فأُخِذَت الألباب وشُغِفَت القلوب.. إن جلال كلام الله لوى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفنائه؛ ولما وصل رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى: { فَاسجُدوا للهِ

وَاعبُدوا } سورة النجم : ٦٢ ، سجد المصطفى ﷺ، فما مَلَكَ الكفار أنفسهم ولا أجسامهم، فسجد جميع الحاضرين.

انتهى الحدث العظيم وانصرف الرسول الكريم، وعادت شياطين الجنّ لعملها توسوس لشياطين الإنس ممّن لم يحضروا، فهرعوا إلى إخوانهم في الكفر يكيلون عليهم اللوم.. الفعلة مشينة، وعاقبتهم عند إبليس لعينة، وهنا أتت الفكرة لتبرير ما فعلوا، وما كان أمامهم سوى التدليس، فقالوا: أجل، سجدنا عند ما سجد محمد، وهو يتلو قرآنه، لكننا سجدنا بسجوده عند قوله: (تلك الغرانيق العلى، إن شفاعتهم لترجى)، فجاؤوا بهذا الإفكِ ليتكبروا على عظمة الله سبحانه، وكالعادة، فإن الأخبار تنتقل مع الرياح بين البلاد أسرع من انتقال النار في الهشيم، يصاحبها؛ تغيير وتقديم وتأخير مع شيء من المبالغة أو بعض التحويل في المعنى، وكلّ ناقل يقص القصة معتمدًا على أسلوبه وما يفسره أو يراه، متجردًا من أمانة النقل وهو يريد أن يكون سبق نقل الخبر منسوبًا لَهُ وحسب.

"وقفة: ولذلك صان الله هذه الأمة المرحومة بهداية علماءها الأول للعلم الجليل النافع، علم الجرح والتعديل، علم الرجال، فوصلت لنا أخبار أسيادنا الأوائل نقية طيبة لم تمسها الأيدي الآثمة".

تنقل الخبر كما أسلفنا حتى وصل إلى الحبشة حيثُ المهاجرين الأولين، فكان ما وصل: أنّ قريشًا أسلمت عن بكرة أبيها.

ما كان من المهاجرين إلا الإسراع في العودة إلى الوطن يدفعهم شوقان، الأول: لحبيبهم رسول الله ﷺ، كيف لا وما من عين رأته إلا أحبته وهابته إلا مَن عميت بصيرته، فهذا هو المفلس.. والثاني: الشوق للأوطان والأهل والخلان من أهل الإسلام.

عاد مَن عاد إلى البلاد، فوجدوا الأمر أكثر سوادًا ممّا تُرك عليه، وما زاد المسلمين إلا تعذيبًا وقهارًا، فما كان الحل عند بعضهم لدخول مكة آمنين إلا الدخول تحتَ حماية بعض الكفار، وآخرون دخلوها دون حماية، فنالهم ما كان ينالهم من الكفار الفجار وزيادة.

أذن رسول الرحمة ﷺ لصحبه بالهجرة الثانية إلى بلاد الملك العادل الذي لا يضام عنده أحد، فكان عدد الفارين بدينهم من بطش أبناء "قوميتهم" أكثر، والخطر كذلك، ففرصة نجاح المتربصين باللحاق بهم أكبر.

انطلق ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن النسا ثماني عشرة، فكتب الله سبحانه لهم النجاة والوصول إلى الحبشة بأمان

وسلامة.. هدأت النفوس هناك واستقرت الأجسام ونعمت بخير مقام مع بقاء القلب يأن أنين الاشـــتياق للقرب من الحبيب ﷺ.

1- نجاشي: تعني ملك في لغة أهل الحبشة.

ينظر: زاد المعاد - ١/ ٩٥

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ١٨٠ – ١٨٢

ينظر: ما شاع ولم يثبت - ٤١ – ٥١

ينظر: الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ - ٥٤ – ٥٦

خيوط المكيدة تحاك

استشاطت قريش غضبًا، واشتعلت غيظًا.. كيف يعقل أنّ شرذمة تهرب من قبضتنا وإلى أين؟ إلى بلد لا سلطان لنا فيه ولا جاه ولا سطوة؛ ينشرون فيها دينهم ويعبدون إلههم، هذا أمر لا يسكت عنه ولا يُنام الليل قبل إيجاد الحل لَهُ.

أرسلت قريش كلاً من؛ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وهما من دهاة العرب، وسيدان من سادة الكلام وحسن التعامل مع الملوك والخاصة مِنَ الناس.. أرسلهما سادة قريش مبعوثان موفدان محملان بالهدايا الثمينة إلى النجاشي، لردّ الفارين من قبضة عدالة قريش!

تم الوصول والوقوف في حضرت الملك أصحمة، ثم تقديم الهدايا واطلاق العنان للكلام بكريمه وطيبه ولينه، كلام مغمس بكثير التملق مغلف بالود والتودد حتى جاءت الفرصة، وأفصح عن سبب المجيء، ولكي يغلظ قلب الملك على اللاجئين عنده تم العزف على وتر أُعتُقِدَ أنُّه الوتر المنتصر، فوشوا للنجاشي؛ أنّ مَن آواهم وبالأمان في أرضه نعموا يقولون في عيسى ابن مريم (عليهما السلام)، قولاً عظيمًا لا يسر من يسمعه، فهم

يقولون عنه: إنُّه عبد الله ورسـوله.. أيرضـي هذا الفحش من القول الملك الغيور على دينه؟

لم يؤخر أصحمة التأكد من الخبر وعلى الفور أرسل في طلب اللاجئين، وهذه عادةُ الكيس الفطن، إذما بأمر مهم أمتُحن.

جاء جمع المسـلمين وزعيمهم يومئذٍ جعفر بن أبي طالب ابن عم خير من مشى على الثرى ﷺ.

سألهم النجاشي عمّا ادعاه عليهم عمرو وصاحبه، وكان المسلمون قد قرروا أنّ النجاة في الصدق، فصدقوا الملك وتلى جعفر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قول الله سبحانه من سورة مريم على مسامع أصحمة والحاضرين من رجال الدين النصـارى (البطارقة)، فبكى أصـحمة ومن حوله من النصـارى، ثم أخذ عودًا وخط خطًا على الأرض، وقال: ما زاد هذا على ما في التوراة ولا هذا العود.

ثم أكمل كلامه بتأثر وصدق: اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي من سبكم غرم.

ثم التفت إلى المبعوثين، وقال: والله لو أعطيتموني جبلاً من ذهب ما سلمتهم إليكم.

أمر النجاشي فردت الرشوة القبيحة إلى أصحابها وعادا يجران أذيال الخيبة والفشل.

البشائر

من بعيد رأت العيون المنتظرة بشوق القادمان من بعيد ومن هيئتهما عرف ما وراءهما.. كلحت وجوه واكفهرت.

جلس القادمان من بعيد والعيون وملامح الوجوه قبل الألسن تطلق السؤال تلو السؤال: ما وراءكما؟ لِمَ لم تعودا بما وعدتما؟ أين دهاؤك يا عمرو؟ أين فطنتك يا رفيق عمرو؟ أين الثقة؟ أين الصباة أتباع محمد؟

ثم الوجوه تجول في تقاسيم الوجوه (أبو جهل، أبو لهب، الوليد بن المغيرة، أبو سفيان بن حرب، عقبة بن أبي معيط، والباقون)، لسان حالهم كان يقول: انتصار آخر يسجل علينا لصالح محمد وإلهه الواحد، سنريه حجم بطشنا وقوة انتقامنا وبأسنا.

لم تزد قريشًا على ما كانت عليه تجاه النبي ﷺ وصحبه الكرام إلا حقدًا وكفرًا وظلمًا ظانين أن الإيلام الجسدي والأذى المادي يتمكن من تحطيم العملاق الذي رسخ في الأرواح وسكن القلوب، إنَّه التوحيد، إنَّه الإيمان الذي جاء بهِ أعظم دين بين الأديان، إنَّه الإسلام.

في وسط الفوضى التي أحدثها سادة قريش والضوضاء والإشاعات في محاولة بائسة يائسة لثني أيّ مَن تسول لهُ نفسه الالتحاق بالركب المبارك برز فارس ممتط صهوة جواده عالي الهامة قوي الشكيمة استغرق في تأمله زمنًا طويلاً وهو يجوب الصحاري والقفار، تأمل كثيرًا السماء بنجومها والخلق العظيم وطرح السؤال تلو السؤال على نفسه: يا ترى أيعقل أن يدير مقادير ذلك كله مجموعة حجارة وأخشاب محجوزة بين جدران أو ملقاة في ساحات مكة، وهي لا تستطيع منع الطير إذا أراد أن يفرغ فضلاته عليها أو إخافة كلب أراد التبول على أحدها؟ ثم يجيئه شيطانه محاولاً ثنيه، لكن لا حظ له أمام الحقائق إلا بقوله: تبًا لك، تريد فراق دين الأجداد والآباء؟ تريد أن تصبأ وتتبع شاعرًا مجنونًا يسحر ألباب الناس؟

يستسلم الفارس قليلاً ويذعن، لكن جرعة المخدر الشيطانية ما تلبث أن يختفي مفعولها، فيعود لتساؤلاته حتى استقر أخيرًا على الرأي وأيقن جازمًا ما عليه فعله.

أطل أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة.

أطل ابن خالة رسول الله وعمه، فأمه أخت آمنة الزهرية.

نعم، حمزة بن عبد المطلب أطل على قريش معلنًا إسلامه ناطقًا بالشهادتين.

صار إسلام أبو عمارة شوكة في حلوق أولئك المتربصين المتوعدين بالويل والثبور لمن يلحق بموكب النور، فما استطاع فحل منهم الدنو والاقتراب من الفارس المقدام لما يعرفون لهُ من بأس وقوة وعدم التأخر في الدفاع عن نبيه والانقضاض كالأسد على من يحاول ذلك ليفتك به.

ما بقي بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب أمام أسياد قريش ومطبليهم إلا الجلوس في الأندية يندبون حالهم ويعضون على أصابع حيرتهم وكَلِ حيلهم، فكلما حاولوا النيل من هذا الدين اشتد وإذا تركوه امتد.

وما هي سوى أيام حتى حطت فاجعة أخرى على رؤوس القوم؛ إسلام عمر بن الخطاب العدوي القريشي

استجاب العظيم الكريم سبحانه دعوة نبيه ﷺ: (اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك أبو جهل أو عمر بن الخطاب)، فكان أبو حفص عزًا للإسلام وأهله.

بعد إسلام أبي حفص صار المسلمون أكثر عزة ومنعة حتى أنّهم صاروا يصلون عند الكعبة بلا خوف، فكان إسلام ابن الخطاب فتحًا جديدًا مَنَّ الله سبحانه به على

المســـلمين، كيف لا وهو من فرق الله بـــهِ بين الحقّ والباطل، بين الإسلام والكفر، فلقبه ﷺ بالفاروق (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَن جَميعِ الصحبِ وَالآلِ).

ينظر: الروض الأنف ـ ٢ / ٤٤

ينظر: فقه السيرة النبوية للغزالي ـ ٨٩

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

صحيفة الخزي والظلم

أحس الشيخ بفطنته أن قريشًا لن تسكت وستدبر مكيدة أخرى وهذه المرة ستكون مكيدة مختلفة بعد أن جربوا الكثير وفرغ وسعهم، فجمع أبو طالب بنو هاشم والمطلب أولاد عبد مناف ودعاهم إلى ما عليه من منعة ابن أخيه ﷺ فلم يتخلف منهم مسلم ولا مشرك حمية وعصبية إلا أبا لهب.

وصل الخبر مسامع أسياد الكفر والطغيان، فكانت الشرارة التي أضافة الاشتعال على النيران الملتهبة، فراحوا يقلبون أبصارهم ويحثون عقولهم لإيجاد حل يمكنهم من القضاء على محمد ﷺ نهائيًا.

اجتمع الأبالسة في خيف بني كنانة - الخيف هو: ما انحدر عن غِلَظِ الجبل وارتفع عن مسيل الماء - من وادي المحصب وهم لا ينون إلا على الشر.

دارت الحوارات وكثرت الاقتراحات، فأرشدهم حقدهم وساعدتهم شياطينهم إلى التحالف والتعاقد على بني هاشم وبني المطلب بأن لا يبايعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلموهم ولا يجالسونهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ

وكتبوا ما اتفقوا عليه على صحيفة، ثم علقوها في جوف الكعبة.

دعا رسول الله ﷺ على من كتب الصحيفة الظالمة بيده، فشلت من ساعتها.

انحاز بنو هاشم والمطلب إلى شعب أبي طالب مسلمهم وكافرهم ومعهم باقية المسلمين من أهل مكة ورسول الله ﷺ وأهل بيته وكان هذا في سنة سبع من البعثة النبوية.

الآن كبار الكفار يعيشون لحظات زهوهم ونصرهم الذي اعتقدوا ممنين النفوس بقرب قطف الثمار الناضجة وأولها وأهمها رأس محمد بن عبد الله ﷺ

لم يكن يخرج أحد من المحاصرين في الشعب إلا في الأشهر الحرم وكانوا عند ما يخرجون يحاولون شراء البضائع من العير التي تقبل على مكة، لكن الكفار كأبي لهب وأبي جهل وغيرهم يقومون بإعطاء التجار القادمين أغلى الأثمان ليعجزوا المتلهفين لسد رمق حاجتهم عن الشراء، فيعودوا إلى شعبهم خالي الوفاض.

زاد الوجع وجعًا والجوع جوعًا حتى أن أصوات بكاء الصغار جوعًا في الشعب كان يسمع في قلب مكة، لكن كبراء الكفر لم تلن قلوبهم وفي ظل المحنة العصيبة ما

كان هم أبو طالب إلا حماية ابن أخيه من الغدر والغيلة، فكان يحرسه أو يجعل أحد أبناء عمومته يقوم بذلك ولا يدع رسول الله ﷺ ينام في فراشه، بل يجعل أحدًا غيره ينام مكانه، وما منع الخطر المحدق بالداعي إلى النجاة وبصحابته الكرام من الخروج في مواسم الحج لدعوة القادمين إلى مكة لركوب سفينة النجاة باعتناق دين الحرية والحق.

إرادة الله سبحانه فوق كل إرادة وأن كثيرًا من المحن ترافقها المنح؛ كان حصار الشعب إعلانًا وتسويقًا - إن صح التعبير - للإسلام وأهله، فقد تناقلت العرب كلها أخبار أولئك المحاصرون وأخذ العقلاء يبحثون ويتابعون، فشاء الله سبحانه أن يكون حصار الشعب سببًا في هداية الناس وسببًا لانتشار الدين الجديد في أماكن جديدة من أرض العرب الذين لم يكونوا ليسمعوا بمحمد ﷺ وصحبه لولا خطة قريش الماكرة، فانقلب السحر على الساحر وبالا، ثم جاء الأمر الإلهي بعد ثلاث من السنين الصعاب بأن يحرك قلوب بعض الكفار ليكونوا معاول هدم التعاقد الجائر وأداة نسف الظلم الباطل.

هشام بن عمرو أول المتحركين لنقض الصحية الجائرة، فمشى إلى زهير بن أمية، فوافقه، ثم ذهبا إلى عدد آخر

ومنهم (المطعم بن عدي)، فاتفقوا وتعاهدوا بعد أن اجتمعوا ليلاً، وعند ما أصبح الصبح وذهب كل إلى ناديه وعمله جاء زهير وطاف بالبيت العتيق، ثم أقبل على الناس، فقال بصوت مسموع مجلجل: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكا لا يبتاعون ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

انتفض الجهول عمرو بن هشام وقال والغضب يعتريه: كذبت، والله لا تشق.

فقال أحد المتعاهدين مع هشام وهو زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب ما رضينا بها حتى كتبت.

بدأت حملة المؤازرات حسب الاتفاق المبيت، فها هو أبو البختري ينتفض ليساند بالقول حين قال: صدق والله زمعة لا نرضى ما كتب فيها.

أيد الكلام المطعم بن عدي قائلاً: صدقتما وكذب من قال غير ذلك.

كثر الكلام وعلا التأييد.

اسقط بيد الكافر الملعون أبو جهل المخزومي وقال متحسرًا مبهوت: أمر دبر بليل!

بينما هم كذلك سلط الحي القيوم سبحانه على صحيفة الظلم (دويبة الأرضة)، فأتت على الصحيفة ولم تبق منها سوى (بسمك اللهم)، وهذا الأمر قد أخبر عنه رسول الله ﷺ قبل أن يعلم بها أحد من الناس.

عاد بنو هاشم ومن معهم ممن كانوا محاصرين في الشعب وحصل الصلح على الرغم من أنف أبي جهل وجلاوزته وأنصاره، وجعل القوي المنان سبحانه هذه المحنة نصرًا لنبيه ﷺ وللمؤمنين.

ينظر: السيرة النبوية الصحيحة - ١٨١

ينظر: فقه السيرة النبوية للغزالي - ٩٢

عام الفراق

انتهى حصار الشعب وعاد بنو هاشم، لكن لم ينتهِ الحقد في قلوب أسياد قريش وكفارها واستمرت الدسائس تحاك والإيذاء يفعل بأتباع الدين الجديد دين الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده والاستسلام لأوامره، لكن حدثًا قرب أن يقع جعل سادة قريش يفكرون ويتجاذبون أطراف الحيل والمؤامرات خوفًا على مكانتهم بين العرب من جهة واعترافًا ضمنيًا لا يعلنوه ولو زهقت أرواحهم المجرمة ألف مرة، إنَّه الانتصار المحمدي بدينه الإسلامي التوحيدي على أصنامهم وأوثانهم وبطشهم وطغيانهم، إن ذلك الحدث المهم هو مرض أبي طالب ذي الثمانين سنة وإن مات أبو طالب ووصلوا محمدًا بعده بأذى سيكونون سبة ومعيرة بين العرب وهذا ما لا تقبله أنفسهم وحبهم للسمعة والمظاهر لذلك قدحت فكرة في العقول، فتشاور القوم، ثم انطلقوا قاصدين كبير بني هاشم يعرضون عليه ما وصلوا إليه لعله يكون عونًا لهم فيه.

عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم عند أبي طالب بن عبد المطلب يعرضون ما اتفقوا عليه في محاولة أخرى هدفها كبح جماح هذا الدين.

قالوا لعم النبي ﷺ وهو على فراش مرضه: يا أبا طالب، إنك منا حيث علمت وقد حضرك ما ترى - يريدون مرضه المخوف - وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه - وهذا التماس منهم لا أمر - فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه.

لم يتردد الشيخ في عرض ما عرضه القوم على ابن أخيه في حضور العارضين للعرض اللئيم، فكان الجواب بكل ثقة وعزة وسمو من محمد ﷺ فقال: (أرأيتم إن أعطيتكم كلمة تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم).

عند ما سمع السادة الكلمات والرد البليغ الذي لا يمكن لإنسان فيه ذرة عقل رفضه تحيروا وما عرفوا كيف يرفضون هذه الكلمة النافعة وقد عرفوها يقينًا، إلا أن طمع السلطة وحب الدنيا والسيادة والتمسك بالجاهلية العمياء منعهم الاعتراف بها.

قاطع أبو جهل الصمت الذي خنقهم بصوته المجلجل محاولاً ادعاء الصدق في المقال والعزيمة على الفعل، فقال: ما هي؟ لنعطينكها وعشرة أمثالها.

ولســـان حال عدو الله يقول: لا واللات لا والعزة ومناة الآخرة لا نعطينكها ونصـــير وعبيدنا ســـواســـية ونمرغ وجوهنا في التراب تعبدًا لإلهك الواحد.

قال أبو القاســـم ﷺ وهو أعلم بما علمه ربه بحال من أمامه، لكن ليقيم الحجة التي أقيمت عليهم منذ كانوا نطفًا في ظهر ابيهم آدام عَلَيْهِ السَّـــلَام: (تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه).

ضُـــرِبَ الكف بالكف إشـــارة من المســـتمعين أن لا فائدة ترجى من محاولاتنا الكريمة السخية للتفاهم مع هذا الذي كفر بحجارتنا وأخشابنا الحبيبة.

قالوا: يا محمد، أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدًا؟! إن أمرك لعجب.

يعجبون من دعوت رســـول الله ﷺ الذي يريد منهم اتباع الحق وعبادة الخالق ولا يعجبون من أنفســـهم لعبادتهم أكوامًا من الحجارة وألواح خشب أو من حلوى صنعت، فإذا جاع أحدهم أكل إلهه، ثم بعد ســـاعات في الغائط طرحه.

بينما كان أبو طالب على فراش موته دخل عليه رســـول الله ﷺ وعنده أخوه أبو لهب وبعض القوم، فقال له رسول

الله ﷺ : (أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله).

هنا انتفض الشيطان أبو لهب مطلقًا صوته عاليًا يخاطب أبا طالب: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟

استمر يكررها حتى نطق المحتضر بكلمة أخيرة، ثم فاضت روحه، قال: على ملة عبد المطلب.

كان الحزن في قلب المصطفى ﷺ حزنان؛ حزن فراق العم والكافل والمؤازر المحب، وحزن خسارة أبي طالب للجنة وانضمامه إلى الكفار في جهنم.

مات أبو طالب في رجب من السنة العاشرة من بعثة رسول الله ﷺ

كان الدرس الإلهي العظيم لخليل الرحمن الرحيم ﷺ: قر عينًا يا محمد، وتوكل على الحي القيوم وقم بما تؤمر واصبر على ما قضى الله سبحانه.

لم ينقض شهران أو ثلاثة على رحيل العم حتى رحلت أم القاسم -رَضِيَ اللهُ عَنْها- خديجة الزوجة والحبيبة والصديقة والمصدقة، الصابرة وأم الذكور والإناث، من أقرأها الله سبحانه السلام.

فارقت أمنا الحياة الدنيا بعد أن أدت أعظم رسالة تؤديها الزوجة الصالحة تجاه زوجها من تصديق ومؤازرة وإعانة على نوائب الدهر.

لقد آمنت بزوجها ﷺ حين كفر برسالته الناس وصدقته حين كذبه الناس وأشركته مالها ورزق منها الولد.

نِعمَ الزوجة والصاحبة والرفيقة كنتِ يا أمنا لحبيبنا رسول الله ﷺ

بعد توالي الأحزان على خليل الرحمن ﷺ أحس أبالسة الإنس بإيحاء من أبالسة الجن أن الفرصة لن تعوض، فتمادوا في غيهم وزادوا ضغطهم على رسول الله ﷺ ومن تبعه، فازدادوا ا كفرًا وعنجهية حتى يئس منهم، فقرر الخروج خارج مكة يقصد إحدى الحواضر لعله يجد مَن يجيب الدعوة ويقبل المنحة والعطية الربانية ليلبس طوق النجاة في بحر ظلمات الشرك متراطم الأمواج.

ينظر: السيرة النبوية الصحيحة - ١٨٣

ينظر: التاريخ الإسلامي - ٢ / ١١٨

الزواج من الطيبة

بعد وفاة أمنا خديجة -رَضِـيَ اللهُ عَنْها- كان على رسـول الله ﷺ أن يجد لـه حليلـة وأن يقترن بهـا، فكـان الشـــرف العظيم لامرأة من أوائل المســـلمين وإحدى المهاجرات إلى الحبشـة الهجرة الثانية، إنها الفاضـلة العزيزة الموقرة السـيدة سـودة بنت زمعة -رَضِـيَ اللهُ عَنْها- وعن زوجها السكران بن عمرو الذي توفي عنها، فلما حلت بعد عدتها خطبها رسـول الله ﷺ وتزوجها وبهذا تكون أول زوجاته بعد أمنا خديجة بنت خويلد إذ لم يتزوج المصـــطفى ﷺ على أم القاسم في حياتها.

كان الزواج المبارك من أمنا سودة سنة عشر من البعثة.

إلى الطائف

تقرر الخروج إلى إحدى حواضـــر العرب، فلا فـائـدة ترجى ممّن في قريش حتى اللحظة بعد اشـتداد سـعارهم على أهل التوحيد، وكبر مقتهم وعنتهم.

خليل الرحمن ﷺ اختار لرفقته في هذهِ المهمة حِبَهُ زيد بن حارثة.. انطلقا على بركة الله يقطعان الصحراء سيرًا على الأقدام حتى لا تثار حولهما الشـكوك، فسـادة الكفر في مكة إن علموا سيمنعون ويؤذون.

المسافة ستة وتسعون كيلو مترًا ونصف تقريبًا، والقصد الطائف، فما كان البشـــير ﷺ يمر بقبيلة من القبائل حتى نثر لديهم جميل الكلام، ودعاهم إلى توحيد الديان والفوز بالجنان، لكن شـاء الواحد القهار أن لا تقبل القبائل النجاة من النيران بالدعوة الطيبة والجانب اللين.

لم يخرج المختار سـيد الأبرار ﷺ إلى الطائف اعتباطًا ولا اختارها هي بالذات بلا دراســة ودراية، فالطائف يا أحبة يا كرام، لها عمق استراتيجي لملأ قريش – سادتها وكبرائها – ولهم فيها كثير أطماع حتى أنّهم قد حاولوا وضــع أيديهم فيما مضــى على واد تابع للطائف اسـمه (وَجٌ)، لما فيهِ من الشــجر والزرع، فدخلت ثقيف وهم

أهـل الطـائف مع قريش في حلف ليـدرؤوا خطرهم ويتخلصـوا من شرهم وأدخلوا معهم في ذلك الحلف قبيلة دوس، فصـار لكثير من أغنياء قريش بسـاتينًا وبيوتًا في الطائف.

هذا مـا دفع حبيبنـا ﷺ للســـعي في إيجـاد مركز للدعوة هنـاك، ولا أحســـن من تلـك البقعـة من الأرض لتكون منطلقًا جديدًا للدعوة إلى الإسـلام، وصـفعة قوية لقريش، لكنّ مشـــيئة الله ســـبحانه فوق كلّ تقدير وتدبير، فلم يجد رسـول الله ﷺ أيّ إيجاب من السـادة هنـاك، فقلوبهم أقسـى من إخوانهم في مكة، وأُمضِيت أيام عشر في الدعوة إلى الله ســـبحانه دون أيّ فائدة تُرجى حتى أن القبح والجرأة وصـلت بهم أن يأمروا سـفهاءهم وأطفالهم رشقَ رسـول الله ﷺ ومرافقه زيد بـالحجارة ليجبروهمـا على الخروج من الطائف.

أدمي العقبين الطاهرين، وســـالت الدماء النقية الطاهرة على تلك الأرض التي سـيكون لجيوش المسـلمين موعد معها في قابل السنين.

التجأ الرسـول الكريم ﷺ ومولاه إلى بسـتان وجلسـا تحت ظل إحدى أشـــجاره، فناجى ﷺ ربُّه بدعاء خلدته كتب

التاريخ والســـير، دعاء انطلق من رجل كريم يدعو ربًّا عظيمًا رؤوفًا سميعًا عليمًا.

(اللَّهمّ إلَيْك أشْـكُو ضَـعْفَ قُوّتي ، وَقِلّة حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النّاس، يَا أرْحَمَ الرّاحمِينَ! أنْتَ رَبّ الْمُسْـتَضْـعَفِينَ وَأنْـتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيـدٍ يَتَجَهَّمنِي؟ أمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَـبٌ فَلاَ أُبَالِي، وَلَكِنّ عَـافِيَتَك هِيَ أوْسَـعُ لِي، أعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذي أشْـرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَـلُحَ عَلَيْهِ أمْرُ الدّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أنْ تُنْزِلَ بِي غَضَـبَك، أوْ يَحِلّ عَلَيّ سُـخْطُكَ، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّة إلاّ بِك).

قفى رســـول الله ﷺ ومرافقه عائدين والحزن يجثو على صـــدره – بأبي وأمي هو والعالم أجمع – وعند وصـــوله إلى مكان يســـمى: (قرن المنازل)، أو ما يعرف بقرن الثعالب، أرسل الله سبحانه أمين الوحي جبريل ومعه مَلَكُ الجبال -عليهما الســـلام- فأخبرَ المختار ﷺ أن الجبار تبارك وتعالى يخبره: إن أراد أن يقوم ملك الجبال بإطباق أبي قبيس الجبل وقيقعان الذي يقابله على أهل مكة، فالمَلَكُ رهن الأمر.

جاء وقتُ الانتقام، جاء وقتُ أخذ الثأر من الكفار، جاء وقتُ السطوة والقوة ونسفهم من على وجه البسيطة، هذا الكلام لو كان أحدنا لردد أكثر منهُ أضعافًا ولفعل الفعال التي لا تخطر على بال، لكنّ الذي جاءته الفرصة رسول الرحمة ﷺ، فكان ردهُ نابع من قلب رحيم رؤوف: (أرجُو أن يُخرجَ اللهُ عزَ وَجلَ مِن أصلابِهم مَن يَعبدُ اللهَ عزَ وَجلَ وحدَهُ لا يُشركَ بِهِ شيئًا).

ويأبى الله سبحانه إلا نصر عبده وتأيده، فانقلبت الرحلة التي لم تجنِ ثمارها المرجوة، والتي حملت ما حملتهُ من أذى إلى منحة ونصر عظيم ما كان على البال ولا الحسبان، فهيا بنا نتعرف على ما حصل.

استمرت رحلة العودة، وعند (وادي نخلة)، وبينا رسول الله ﷺ يصلي ليلاً صرف الله إليهِ سبعة نفر من (جن نصيبين)، استمعوا لتلاوتهِ ﷺ، فهدى الله سبحانه قلوبَهم إلى الحقّ المبين، فآمنوا، ثم انصرفوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين وداعين قومهم إلى إجابة داعي الحقّ، فوثق كلامهم في قرآن يُتلى حتى يشاء الله سبحانه: {يا قَومَنا أجيبوا داعِيَ اللهِ وَآمِنوا بِهِ يَغفِر لَكُم مِن ذُنوبِكُم وَيُجِركُم مِن عَذابٍ أَليمٍ}سورة الأحقاف: ٣١

أخبر الجليل الكريم سبحانه صفيهُ من خلقهِ ﷺ وممّا أوحي في خبر جنّ نصيبين قوله تعالى: {قُل أوحِيَ إليَّ أنَّهُ استَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقالوا إنّا سَمِعنا قُرآنًا عَجَبًا} سورة الجن: ١

أينكم يا عتاة مجرمي قريش، من مؤمني الجن؟ أرونا ما يمكنكم وأمكانكم صنعه تجاههم؟

انتصار عظيم لرسول الله ﷺ إذ آمنت أمة جديدة من خلق الله سبحانه وصار اسم محمد ﷺ وخبره يتنقل بين عالمين وصدى التوحيد يتردد بين خلقين عظيمين من خلق الله سبحانه، فزاد غم إبليس واشتعل حقده حينما نصر الله عبده، فما كانت في أولها محنة توجت في آخرها بمنحة مبهرة وآية عظيمة.

دخل الكريم ﷺ مكة مرة أخرى، محميًا من أحد وجهائها، فقد هيأ الله تبارك وتعالى لهُ المطعم بن عدي ليدخل تحتَ حمايته، فحفه المطعم هو وأولاده معلنًا على الملأ أجمعين من المجتمعين عند البيت العتيق أنّ محمدًا بن عبد الله صار في حمايته.

ينظر: إسعاد البرية ـ ٦٧ ــ ٦٨

ينظر: الرحيق المختوم ـ ١١٧

الرحلة العظيمة

السنةُ العاشرة من البعثة النبوية؛ سنة مكتظة بالأحداث، وكأنّ الأحداث الماضية في السنوات السابقات كانت تسير بتؤدة حتى بلغت الدعوة العاشرة من عمرها، فانطلقت تتراكم وتتزاحم ليكون ما بعدها انتقال مهم وكأنُّه البناء على الأصل الطيب من الصبر والمعاناة.

من أهم ما حصل وترك بصمته في تاريخ الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء؛ هي الحادثة العظيمة التي حصلت في إحدى ليالي ذلك العام، فقد جاء إلى رسول الله ﷺ الروح الأمين (عَلَيْهِ السَّلاَم) ليصحبه في رحلة عظيمة وقد جاءه بمطية مباركة تعرف باسم (البراق)، وهي دابة بيضاء فوق الحمار دون البغل تضع حافرها عند منتهى طرفها.

امتطى رسول الله ﷺ البراق دون سؤال أو استفصال، فالأمر من العزيز الجليل جاء بهِ جبريل.

الدابة تسري بين السماء والأرض حتى انتهى بها المستقر عند باب بيت المقدس وهناك ربط رسول الله ﷺ البراق بحلقة باب بيت المقدس، ثم صلى ركعتين وبعد فراغه من صلاته أتاه جبريل (عَلَيْهِ السَّلاَم)، بكؤوس

ثلاثة واحد فيه خمر وآخر ماء والثالث لبن فاختار المختار ﷺ اللبن.

قال له جبريل: اخترت الفطرة.

ثم جاء وقت الجزء الأعظم من تلك الرحلة التي أعجزت العقول وتركت مَن في قلبهِ مرض في ذهول؛ إنَّه العروج بمحمد ﷺ إلى السماوات، وفي السماء الأولى التقى الحبيب المصطفى ﷺ بأبيه الأول آدم (عَلَيْهِ السَّلَام) ليقوم الأخير بالترحيب والدعاء لهُ بالخير، ثم في الثانية التقى بأبني الخالة يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم (عليهما السلام)، فرحبا بهِ ودعيا لهُ بالخير، وفي السماء الثالثة وجد النبي الذي رزق شطر الجمال وامتحن بالسجن، ثم أعز بأن يكون على خزائن مصر؛ يوسف بن يعقوب (عليه وعلى أبيه ونبينا أفضل الصلاة والسلام).. استمر العروج برفقة الروح الأمين، وقد تم الوصول إلى السماء الرابعة التي فتحت أبوابها بعد معرفة من برفقة المَلَك ليجد فيها إدريس (أخنوخ)، ومن الترحيب كان كبير نصيب للحبيب ﷺ والدعاء بالخير لا ينقطع، ثم الخامسة تتشرف بوصول خليل القوي الجليل ﷺ وفيها هارون

أخو الكليم ووزيره، وحاله كحال إخوانه من الأنبياء والرسل: حار ترحاب وكثير دعاء مع سرور بالزيارة.

الرحلة مستمرة والسماء السادسة المحطة الجديدة؛ فيها الكليم موسى (عَلَيْهِ السَّلاَم)، فكان لأخيه محمد ﷺ من الترحيب والدعاء الشيء الكثير، فهو أخ لهُ حبيب.. جاء وقت اللقاء المهم، لقاء الابن بالأب الذي كان جالسًا وهو مسند ظهره إلى البيت المعمور.. نعم، هو الخليل الأول والناجي من نار النمرود، أبو إسماعيل الذبيح إنُّه إبراهيم أبو الأنبياء (عليه الصلاة والسلام)، والبيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعين ألفَ ملك لا يعودون إليهِ.

الرحلة مستمرة، فصحب المرافق رفيقه حتى سدرة المنتهى التي كانت عظيمة لا مثيل لها بين الخلق، فأوراقها كآذان الفيل وثمارها كالقلال، فلما غشيها أمر الله سبحانه تغيرت، فزادت بهاء وازدادت جمالاً وحسنًا ومن خلف أحجب تلو أحجب كلم الجليل العظيم الخالق الكريم نبيه وخليله ﷺ ما شاء أن يكلمه، ففرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم حان وقت العودة وفي الطريق نزولاً سأل الأخ أخاه مستفسرًا.

قال موسى (عَلَيْهِ السَّلاَم): ما فرض ربَّك على أمتكَ؟

أجابه ﷺ: خمسون صلاة.

قال: ارجع إلى ربَّك، فاســـأله التخفيف، فإن أمتكَ لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.

رجع رســـول الله ﷺ إلى ربِّه وســـأله التخفيف، فحط سبحانه خمس صلوات.

بقي الرســـول ﷺ يعود بمراجعة ربِّه بنصـــح من أخيه موسـى (عَلَيْهِ السَّـلاَم)، حتى قال الجليل ﷻ: ((يا محمد، إنهنَّ خمس صلوات كلّ يوم وليلة لكلّ صلاة عشر، فذلك خمســـون صـــلاة ومن هم بحســـنة، فلم يعملها كتبت له حســـنة، فإن عملها كتبت له عشـــرًا ومن هم بســـيئة، فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة)).

عاد النبي الكريم ﷺ بهذا الخير العميم إلى أمته المرحومة من ربّ السموات والأرضين.

جاء الصـــبح وانطلق الخبر العظيم أنّ رســـول الله ﷺ أسري به إلى المسجد الأقصى، ثم عرج حتى انتهى عند سدرت المنتهى، فكان قاب قوسين أو أدنا.

هاجت قريش وماجت وطفق الأبالسة يتباشرون كأنهم وقعوا على كنز ثمين وصيد سمين كي يكون وجبة تكذيبهم ومنفذًا للطعن بالرجل الذي أعيا حيلهم.

توجه نفر من قريش قاصدين الصديق الصدوق والمنافح الشرس عن أخيه في الدين ورسوله ونبيه حتى يحرجوه كيف لا وصاحبه أتى بخبر لم يسبقه له الأولين الغابرين، إلى عبد الله بن عثمان أبي بكر التيمي القصد، فأخبر بخبر صاحبه محمد ﷺ وما قاله على رؤوس الأشهاد.

خرجت كلماته كما أعتيد منه بهدوء وكياسة وحكمة، فقال (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): والله لئن قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟! فو الله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل، فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

تحرك الصَدِيقُ إلى صديقه وحبيبه ﷺ، طلب أهل الشرك من المختار ﷺ وصف بيت المقدس، في آخر محاولاتهم اليائسة في هذا الموقف، رفع الله سبحانه لرسوله بيت المقدس، كأنه أمامه وراح يصفه لهم بأدق تفاصيلهِ وأبو بكر يقول: صدقت، صدقت، أشهد أنك رسول الله، ويكررها مع كل صفة يصفها، وعند ما فرغ رسول الله

ﷺ وقريش تسمع الخبر اليقين قال لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر، الصديق.. فمنذ ذلك اليوم لقب أبو بكر بالصدّيق.

عباد الله أكثروا من الصلاة على حبيبكم وترضوا على الصحب والآل.

ينظر: الروض الأُنف ـ ٢/ ١٨٧ ـ ١٩٣

ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ـ ١٨٨ ـ ١٩٢

ينظر: السيرة النبوية للصلابي ـ ٢٢٢

الرؤيا الحقّ

كما لا يخفى عليكم أيها الأحبة أنّ رؤيا الأنبياء حقّ، فهي من أقسام الوحي، وها هو حبيبنا ﷺ يرى رؤيا طيبة مباركة، وكان ذلك في العام الحادي عشر من البعثة النبوية، فلقد رأى ﷺ في منامه أنّ المَلَك جبريل (عَلَيْهِ السَّلَام)، جاءه ومعه ثوب من حرير وفي الثوب الحصان الرزان الصديقة بنت الصديق.

أجل، كما جاء في خلدكم، إنّها الرؤيا التي أراها الله سبحانه لعبده وخليله محمد ﷺ إنُّه الأمر الإلهي بزواج عائشة بنت أبي بكر التيمية القريشية.

قال جبريل (عَلَيْهِ السَّلَام)، لرسول الله ﷺ: (هذهِ زوجتك)، قالها ثلاثًا.

حصل الشرف العظيم لآل أبي بكر، وأضيف لهم تكريم آخر بأن يكون الرسول ﷺ صهرهم زوج ابنتهم عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وبكره.

عائشة أم عبد الله أفقه نساء الأمة، والمطهرة بقرآن يتلى، عائشة أمنا الغالية الحبيبة العالية من رماها بسبة أو طعن

في عرضـــهـا كفر بـاتفـاق علمـاء الأمـة من الأولين والآخرين، لأنَّه يرد كلام ربّ البشر.

في شـوال المبارك من السـنة الحادية عشـرة عُقد القران وتزوج العدناني ﷺ من ابنة الكرام وهي ابنة ســـت من الأعوام ولما هاجر إلى المدينة فيما بعد دخل بها وهي ابنة التســـع وتوفي عنها ﷺ وهي ابنة الثامنة عشـــرة، فكانت من المكثرين في رواية الحديث عن حبيبها زوجها أبو القاسم محمد ﷺ.

ينظر: زاد المعاد ـ ٢ / ١٠٢ ــ ١٠٣

الرهط المبارك

ما زلنا في السنة الحادية عشرة من بعثة نور الهدى ومصباح الدجا ﷺ وها نحنُ تحديدًا في موسم الحج، وقبائل العرب بدأت تفد من كلّ حدب وصوب للطواف بالبيت العتيق والتبرك بأكوام الحجارة وجذوع الأخشاب المسماة آلهة.

لم تَفُت الداعي إلى الحقّ ﷺ تلك الفرصة قبلُ، ولن تفوته هذا السنة، فطفق يطوف على وفود القبائل يعرض عليهم الإسلام وبرفقته الصاحب عبد الله بن عثمان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، وكالعادة رفضَت الوفود السماع لمن عرف عندهم فتى قريش مدعي النبوة والداعي لنبذ الآلهة وعبادة إله واحد.

لكن لا استسلام ولا يأس في تبليغ ما أمر بهِ الجليل تبارك وتعالى.. الأقدام الطاهرة تجول ناقلة الجسدين المباركين من رهط إلى رهط، ومن رحل إلى رحل حتى وصل النبي ﷺ وصاحبه (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، إلى عقبة وادي مِنَى شرقي مكة وتحديدًا حيثُ يتواجد رهط يثرب، وكانوا ستة نفر وهم: (أبو أمامة بن زرارة، عوف بن الحارث،

جابر بن عبد الله بن رئاب، رافع بن مالك، قطبة وعقبة ابنا عامر).

لقاء ما خطط لهُ ولا رتب من قبل أحد من الخلق، بل رتبه خالق الخلق، مسير الأكوان، مدبر الأقدار.

بدأ رسول الله ﷺ يعرض عليهم الإسلام كما فعل مع الآخرين، وما نال من حماسته، وصدق لسانه، وقوة حجته ما لقيه ممّن قبلهم من جفاء وصد ورد.

الستة نفر يستمعون بإصغاء شديد حتى فرغ من كلامه، فقال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنُّه للنبي الذي توعدكم يهود، فلا تسبقكم إليه.

فتح الله القلوب، وأنار البصائر، فأجابوا رسول الله ﷺ لما دعاهم إليهِ من الخير والفلاح.

قال الرهط المبارك: إنّا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمع الله بكَ، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمركَ، فإن يجمعهم الله عليكَ، فلا رجل أعز منكَ.

فتح رباني ونصر إلهي لعبده محمد ﷺ ودعوته؛ تدبير وترتيب من لدن عظيم كريم، ناصر معز، لتكون يثرب

من دون بقاع الأرض القاعدة التي سوف تنطلق منها رايات التوحيد وسيوفه البتارة لتطهر جزيرة العرب، وما بعدها من رجس الشرك والوثنية، ولتحمل مشعل النور السماوي الذي سينير القارات ويقطع المحيطات إلى كلّ بقاع الأرض.

سبحانه لا إله إلا هو، هيأ الأمر وأتمه بقدرته واختار أناسًا يمتازون ويتميزون عن باقي سكان الجزيرة العربية بالرقة واللين مع من سواهم، لكنهم أشداء أقوياء على من عاداهم ليكونوا حاضنة دولة الإسلام الأولى ومنطلق نشر الدعوة إلى العالم كلّه، وليتشرف الأوس والخزرج بنيل لقب نصرة رسول الله ﷺ.

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٢٣٧ – ٢٤٠

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

موسم الحج سنة اثنا عشرة من الهجرة

لم يبقَ بيتٌ في يثرب إلا وغزاه الهدى، ونال نصيبًا من رحيق التوحيد.

جاء موسم الحج في السنة الثانية عشرة من النبوة، فقدم إلى مكة اثنا عشر رجلاً خرجوا من يثرب وقلوبهم تهفو شوقًا للقاء الرسول الكريم والبشير بالخير العميم ﷺ.

لم يتخلف من الستة الذين أسلموا في موسم الحج العام الماضي إلا جابرًا بن عبد الله وقد جاء مع الخمسة الأولين كل من: (معاذ بن الحارث، ذكوان بن عبد القيس، عبادة بن الصامت، يزيد بن ثعلبة، العباس بن عبادة بن نضلة، أبو الهيثم بن التيهان، وعويمر بن ساعدة).

التقى القوم برسول الله ﷺ في نفس مكان العام الماضي.

جاءت اللحظة التي ستكون فيصلاً بين ما سبق وما هو آت.

قال رسول الله ﷺ لهم: (تَعَالَوْا بَايِعُونِي علَى أنْ لا تُشْرِكُوا باللهِ شيئًا، ولاَ تَسْرِقُوا، ولاَ تَزْنُوا، ولاَ تَقْتُلُوا أوْلاَدَكُمْ، ولاَ تَأْتُوا ببُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بيْنَ أيْدِيكُمْ وأرْجُلِكُمْ،

ولاَ تَعْصُـــونِي في مَعروفٍ، فمَن وفَى مِنكُم فأجْرُهُ علَى اللهِّ، ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيئًا فَعُوقِبَ به في الدُّنْيَا فَهو له كَفَّارَةٌ، ومَن أصَـابَ مِن ذلكَ شـيئًا فَسَـتَرَهُ اللهُّ فأمْرُهُ إلى اللهِّ، إنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وإنْ شَاءَ عَفَا عنْه)١.

دسـتور متكامل لنجاة وفوز في الدنيا والآخرة في كلمات معـدودات خرجنَ ممّن لا ينطق عن الهوى، بـل علمـه شديد القوى.

مـا تردد القوم عن مبـايعته ﷺ وطلبوا من نبيهم أن يبعثَ معهم رجلاً من أصـــحابه يعلمهم ويفقهم في دينهم، فوقع شـــرف الاختيار من لدن المختار ﷺ على أحد الأخيار ليكون سفير الإسلام والداعي في يثرب الخير إلى الحقّ؛ الشـــاب الهمام مصـــعب بن عُمير العبدري القريشـــي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعن الصَحبِ الكرام).

---

1 - صـحيح البخاري – كتاب: مناقب الأنصـار – باب: وفود الأنصـــار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة – رقم الحديث: ٣٨٩٢

2 - ينظر: إسعاد البرية - ٧٧

الفتحُ الكبيرُ، وختامُ المرحلةِ المكية

وبدأ موسم حج العام الثالث عشر من البعثة النبوية، وها هو جمع يثرب يصل مكة.

سبعون رجلاً وامرأتان من أهل الإسلام جاؤوا لأمر عظيم هام، وقلوبهم تخفق فرحًا لقرب لقائهم بحبيبهم ﷺ..

في إحدى ليالي الحج، وبعد انقضاء الثلث الأول من الليل تحرك السبعون رجلاً والامرأتان إلى شعب عند العقبة حيثُ ترمى الجمرة الأولى ليجتمعوا مع الطبيب والحبيب، وتكتحل الأرواح برؤيته والحديث معهُ.

لم يطل الانتظار حتى هل هلال الهداية والنجاة ﷺ، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب الذي رافقه رغم كونهِ لا زال على دين آبائه، لكنَّه أبى إلا المرافقة ليستوثق لابن أخيهِ من القوم، ويأمن عليه من الغدر أو اللؤم.

بدأ الحديث والحوار وكان أول المتحدثين العم الحريص مبينًا للقوم أنّ المَهمة التي قد أقدموا عليها ليست بالسهلة اليسيرة، وأنّ حماية ابن أخيهِ واجبة لا محالة إن عقد العقد، وأكد العهد، وإن لم يكونوا على قدر ذلك من المنعة

والبذل ولم يكن عزمهم جد بل هزل، فليدعوه، فهو بين قومه من أعمامه أعز وأمنع.

ردّ القوم على ما سمعوا من العم الحريص على ابن الأخ العزيز النفيس؛ أنّهم سمعوا منه ووعوا قصده وأدركوه ويريدون الآن سماع الدر من صاحب الشأن.

جاءهم التبيان بأنّ البيعة للرحمن ورسوله الطاهر هي محور الأمر.

سأل الوفد حبيبهم ﷺ قائلين: يا رسول الله، على ماذا نبايعك؟

سؤال لتبين المجمل وتفصيله وليس سؤال من سائل لا يعلم مطلقًا.

أجابهم صاحب الثغر الباسم ﷺ: (على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم).

لعل سائلاً يسأل: ما مقابل هذا كله، ماذا لهم يا رسول الله؟

قال بأبي وأمي هو ﷺ: (ولكم الجنة).

يا للثمن البسيط الهين، يا للصفقة الناجحة الرابحة! سمعًا وطاعة لواجب الطاعة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر مع ولاء وبراء ومنعة - خلال حميدة يسعى لها كل ذي لب - يقابل ذلك جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر من النعم والخيرات، لا موت فيها ولا أذى، لا مرض ولا وجع ولا حزن، وفيها ما أعظم من ذاك كله؛ رؤية وجه الجبار الرحيم، القوي المتين؛ منة ما بعدها منة وسعادة ما بعدها سعادة ولا قبلها سعادة.

بعد أن بين رسول الله ﷺ البنود الخمسة للبيعة، نهض رجل من القوم ولنبيه ﷺ سأل وقصده إزالة الغموض من على بعض القلوب، فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلاً - يقصد اليهود - وإنا قاطعوه، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

تبسم صاحب الثغر الذي ما ينطق إلا صدقًا وما يقول إلا حقًا ﷺ، ثم قال: (بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم).

تهافت أيدي الرجال لتعانق اليد الطاهرة الشـــريفة وتنال الأفواه شرف نطق البيعة.

بايع السبعون رسول الله ﷺ الواحد تلو الآخر حتى انتهوا جميعًا، ثم بايعت المرأتان بالكلام دون مصافحة، فهو ﷺ ما صافح امرأة أجنبية في حياته قط.

لعل قارئ يسأل: من المرأتان يا هذا؟

إنهما أيها الحبيب: نســـيبة بنت كعب (أم عمارة من بني النجار)، والثانية هي: أسماء بنت عمرو من بني سلمة.

بعد اتمام البيعة جاء دور اختيار الزعماء الذين سيكونون نقباء على قومهم يتكفلون بأخذ البيعة لرســول الله ﷺ من أهل يثرب، فطُلِبَ من القوم اخراج اثني عشر نقيبًا وعلى الفور لُبيَ الأمر، وكان النقباء من الخزرج: (ســـعد بن زرارة، ســـعد بن الربيع، عبد الله بن رواحة، رافع بن

مـالـك، البراء بن معرور، عبـد الله بن عمرو بن حرام، عبادة بن الصـامت، سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو بن خنيس)، ونقباء الأوس هم: (أسـيد بن حضـير، سـعد بن خثيمة، ورفاعة بن المنذر).

أخذ رسـول الله ﷺ الميثاق على النقباء وقال لهم: (أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسـى بن مريم وأنـا كفيل على قومي) عنـا حبيبنـا ﷺ بكفالتـه على قومهِ: "المسلمون عامة".

"هذه البيعة عرفت عند أهل السير ببيعة العقبة الثانية"

لقد شـاء الله سـبحانه أن يغيب هذا الاجتماع المبارك عن أعين شياطين الجن قبل إخوانهم من شياطين الإنس حتى تم المراد من ربّ العباد، فشـاء تباركت أسـماؤه أن يطلع على آخره أحد أبالسـة الجن، فطفق يسـابق لحظ البصـر وصـعد على مكان مرتفع، ثم صـرخ ليسـمع مَن في مكة:

يا أهل الأخشـاب ـ المنازل ـ هل لكم في محمد والصـباة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم.

ما غاب خبر ذلك اللعين عن سـيد الخلق أجمعين ﷺ بما أطلعه عليه ربه، فأخبر عن صاحب الصوت أنه شيطان من الجن واسـمه (أزب ابن أزيب)، أزب العقبة، ثم أمرهم ﷺ بالعودة إلى رحالهم، لكنّ الأنصـار بما عهد عنهم من الشـجاع عرضـوا الميل على المشـركين في الصباح بسيوفهم نصرة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ.

أجابهم حبيبهم ﷺ أنّ أمرّ قتال الكفار لم يصـدر بعد من ربّ البحار والجبال.

علم أبالسـة قريش من الإنس عن طريق أخيهم أزب، فهاجوا وماجوا وانطلقوا مهطعين إلى سادة يثرب وقادتها الذين في وفد يثرب ممّن جاءوا للحج محتجين عليهم بأقوى العبارات، فكانت مفاجأة سادة القوم أكبر من تفاجأ نظرائهم القريشيون، فحلفوا لهم أغلظ الأيمان أن لا علم لهم بما يقولون، وما حدث ذلك مطلقًا أبدًا، كيف يذهب جمع منهم إلى الصابئ؟! أبدًا لم يحصل ذاك ولن يحصل؟

المسلمون من أهل يثرب في ذلك النقاش المحتدم يلزمون السكون والصمت.

أصبح سادة الكفر والعنجهية في حيرة من أمرهم، فهم قدموا بأمر، ثم عادوا بضده، لكنّ تأكدت عندهم حقيقة ما حصل في تلك الليلة غير أن استقرار شكوكهم صار بعد عودة الحجيج إلى ديارهم.

هكذا أتم الله سبحانه فضله على عبده ونبيه ﷺ بفتح الفتوح.

ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ـ ١٩٨

ينظر: شرح الأرجوزة الميئية ـ ٦٨

الهجرةُ المباركةُ

يثرب تستقبل النجوم

إن التدبير الإلهي يفوق كل تدبير، فقد هيئه الله سبحانه لعباده الصابرين المحتسبين الصامدين بقيادة نبيهم الأمين ﷺ في وجه أعتى عنجهية وأشرس غطرسة ملاذًا آمنا وأرضًا رحبة بناسها وفنائها وزرعها، بل وصار لهم هناك إخوة في العقيدة.

أذنَ رسول الله ﷺ لصحابته بالهجرة إلى يثرب موطن الإسلام الجديد وقلعته الأولى في وقت مبكر كما سيتم بيانه عند اطلاعنا على بعض قصص الصحب الكرام.

انطلق الأبرار الأخيار يهاجرون تباعًا ولم يبق في مكة إلا محمد ﷺ وأهل بيته وأبو بكر (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وأهل بيته ومن منع أو حبس من المسلمين، أما رسول الله ﷺ، فقد كان ينتظر أمر ربه تبارك وتعالى في الهجرة، وأما أبو بكر، فينتظر صاحبه يأمره وفي النفس أمر يتمناه ويرغب به عما سواه.

ضحى الناس بالأموال والعيال والبلد والدار في سبيل الواحد الجبار، ومن أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فقد

كانت قريش لا تبخل بجهد ولا تفوت فرصة في الوقوف بوجه المسلمين المهاجرين، فاضطر الصحابة للهجرة خفية هربًا من عقاب كفار قريش، ولنا مع بعضهم وقفة قصيرة نتعرف على ما حدث معهم في هجرتهم المباركة، وعلنا نبدأ بابن عمة رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد أسد المخزومي أبي سلمة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن زوجه).

بعد أن عاد أبو سلمة وزوجته من الحبشة إلى مكة لقي أذًى كبيرًا من قبل كفار قريش وبعد بيعة العقبة الأولى قرر الخروج مهاجرًا إلى يثرب للتخلص من كم الأذى والفتنة التي يريدونها به سود القلوب.

أعد أبو سلمة راحلته، ثم رفع عليها زوجته وفي حجرها ابنه سلمة، وانطلق مسرعًا متخفيًا يقصد الموطن الجديد هاربًا بدينه ونفسه وعرضه وولده، لكن مشيئة الله تعالى تقتضي الامتحان والاختبار حتى تُنقى القلوب وتشد الهمم ويعرف أن لا رافع للبلاء إلا هو سبحانه وحده.

اعترض أبا سلمة رهط من قوم أم سلمة معلنين عن رفضهم هجرته بابنتهم، فاخذوا منه زوجته وتركوه وحيدًا يكمل طريقه في سبيل الله تعالى.

سمع أهل أبي سلمة بما جرى لابنهم، فذهبوا إلى قوم أم سلمة مطالبين بالطفل، فاحتدم الجدال وعلت الأصوات، ثم تشابكت الأيدي تتجاذب الصغير حتى خلعوا ذراعه وصار عند أهل أبيه.

الزوجة المسكينة تخرج كل يوم إلى البطحاء تبكي من طلوع الشمس حتى غروبها حتى مرت عليها سنة كاملة وهي على حالها تلك، وفي أحد الأيام مر بها رجل من قومها، فرأى حالها وما آلت إليه من هزل وتعب وحزن، فرق لها وذهب إلى قومه ليقنعهم إطلاق المسكينة، فشاء الله تعالى له النجاح، ثم ذهب إلى قوم أبي سلمة واستعاد الصغير سلمة.

دعونا الآن أيها الأحبة نقف قليلاً مع قصة هجرة الصحابي الجليل صهيب بن سنان المعروف بصهيب الرومي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

صهيب كما تقدم معنا عربي الأصل استعبده الروم نتيجة الأسر، فنشأ في دورهم وتحت نير عبوديتهم وهو يعلم من هو ومن أين، فأبت نفسه الأصيلة هذا الذل، فمكنه الله تعالى من الفرار والوصول إلى مكة وهو شاب متقن للغة الروم وجميع حيلهم في التجارة وحافظ لأساليبهم، فبدأ العمل في التجارة مع رجالات قريش، فجنى من المال

الكثير وعند ما أراد الهجرة كان ثمن هجرته التخلي عن ثروته وتركها، ففعل بكل ثبات، بل هو من عرض على أولئك الذين كانوا يتربصـــوه ليمنعوه عن الهجرة أخذ أمواله التي خبأها في أماكن ســـرية مقابل تركه يهاجر ويلتحق بالركب المبارك.. (ربح البيع أبا يحيى).

وذاك عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، يتفق مع عياش بن أبي ربيع وهشـــام بن العاص على اللقاء في موضـــع خارج مكة يصبحون عنده ثلاثتهم، ثم يهاجرون، واتفقوا على أن من يتخلف منهم عن الموعد والموضـــع يكون قد حبس، فالتحق بعمر في المكان والزمان عياش وحبس عنهما هشام، فانطلقا حتى وصلا قباء مهاجرين إلا أن أبا جهل بن هشـــام وأخوه الحارث لحقا بعياش وهو أخ لهما من الأم واحتالا عليه بدعوى أن أمه قد أقســـمت أن لا تمتشط وتستفيء بظل حتى ترى عياشًا، فحذره عمر من مكر مدبر، لكنه أصـــر على البر بالأم، فحدث ما حدث ودخلا بعياش بالحبال مكبل وقال الجهول بزهو وفخر: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفائكم كما فعلنا بسفيهنا.

هذه نماذج بسيطة من قصص هجرة الصحابة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُم) ولو أردنا افراد المجلدات في الكلام عن هذا الأمر لما وسعت الأوراق ولا كفتنا أنهار من الحبر يراق في تسطير خبر أولئك الأعلام.

قبل ختام هذا المقام لا يفوتني ذكر شـــيء من الكلام عن استقبال مسلمي يثرب إخوانهم المهاجرين من مكة أحسن استقبال، فقد أنزلوهم خير منزل؛ فهذه دار مبشر بن عبد المنذر ضـــمت عمر بن الخطاب ومن لحق به من أهله، وتلك دار سعد بن زرارة تزدان بأسد الله وعياله، وأيضًا دار خبيب بن إساف نزل فيها طلحة بن عبيدة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُم).

والقائمة تطول في ذكر كرم أولئك الفحول، فأرجو قبول العذر لأمرئ مثلي قاصر الوصف ضعيف الهمة.

ينظر: التاريخ الإسلامي - ٢ / ١٣٥

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٢٥١ – ٢٦٠

ينظر: ما شاع ولم يثبت - ٧٠ – ٧١

استشاط سادة قريش من الكفار وزاد مقتهم الذي ما خبت ناره يومًا منذ أعلن الهادي ﷺ الدعوة إلى توحيد الصمد، فثلاث عشرة سنة من التنكيل ومحاولات اطفاء نور الله تعالى ونفث الدسائس والمؤامرات التي كانت شجرتها عقيمًا، فما أثمرت لهم ما سعوا له.

اجتماع طارئ عاجل لكبار أبالسة قريش للتباحث والتحاور، وهذه المرة العزم منعقد والجد يملأ الوجوه والحقد يذكي النفوس والهدف استدراك الأمر قبل فوات الأوان، فإن كان الصباة فر منهن النفر الأكبر، فسيدهم وقائدهم ما زال بين ظهراني مكة لم يهاجر وإن حصل وفوتت الفرصة، فلن تقوم لهم قائمة ولن يحصلوا على مثيلتها.

الحديث يدور بين السادة الكبار في جذب ورد والاقتراحات كثيرة، فهذا يريد حبسه وذاك يود نفيه إلى أن استقر الرأي على رأي كان رآه أبو جهل ألا وهو: القتل ولا حل إلا القتل.

بينما شـــياطين الإنس يتباحثون ويتعاقدون نزل الأمين على خليل ربّ العالمين ﷺ وأطلعه على ما يروم الأوغاد فعله وأبلغه أمر ربه بالتحرك متوجهًا إلى مهاجره.

تحرك الصاحب قاصدًا صاحبه.

الباب يقرع وأهل الدار يســـألون من الطارق، فالوقت وقت ظهيرة لم يعتاد فيه على الزيارة.

إنه رسول الله ﷺ أحدهم يخبر أبا بكر.

انتفض عبد الله من مكانه وهو يقول: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

تهلل وجه عبد الله الصـدّيق عند سـماعه من صـاحبه أن ربه أذن له بالهجرة وفي شغف المتشوق سأل: الصحبة يا رسول الله؟

جاءه الجواب الذي أثلج صـــدره وأنســـاه الدنيا وما فيها فرحًا.

بيت الصـــديق ينقلب إلى خلية نحل لا تكل ولا تمل في الإعداد والتجهيز والترتيب لرحلة الصاحبين.

كذلك كانت قد أعدت راحلتان للرحلة من قبل.

لم تجد أسماء بنت أبي بكر ما تضع فيه، الطعام، فقطعت نطاقها قطعتين ووضعت فيه الزاد. فسميت ذات النطاقين.

انطلق الصاحبان في عجالة متخفيان عن أنظار الأعداد والمتربصين، فشاء الله أن يصلا جبل ثور دون أن يراهما أحد.

صعد الرسول ﷺ وصاحبه الصديق إلى أعلى الجبل حيث الغار هناك وعند وصولهما أبى الصاحب ترك نبيه وحبيبه يدخل أولاً، فدخل هو ليجس ويمهد الطريق، فوجد جحورًا داخل الغار، فأخذ يسدها بقطع من ملابسه حتى استنفذ ما عنده، فاستخدم قدماه لسد ما تبقى بعدها نادى على رسول الله ﷺ أن يدخل.

نام رسول الله ﷺ على فخذ أبي بكر، فما كاد الوقت القصير يمضي حتى لُدِغَ أبو بكر في إحدى قدميه، لكنه صمد ولم يتحرك رغم الألم حتى لا يوقظ صاحبه المرهق بسبب ما مضى من أيام كثيرة الأحداث غير أن دمعة لم يمتلك زماهما فرت من عينه وراحت تجري وتجري على خده منسابة لتقبل وجه رسول الله ﷺ وتشكو له حال صاحبه.

في قلب مكة كفار قريش ورؤساؤها يشتاطون غضبًا، كيف ومتى وإلى أين وأين هو؟

أيعقل بعد التخطيط والتدبير يفر؟ إلى أين؟ ألم يره أحد من العيون الراصدة والأقدام المتتبعة؟ كيف ذاك حصل؟ يال اللات يال العزى يال مناة يال إساف ونائلة.

اطلقوا الإنذار وهلموا أعلنوا الاستنفار وابحثوا في كل مكان؛ في الجحور والوديان، فوق التلال وعلى الآكام، فالويل والثبور لكم يا قريش، بين العربان إن فعلها ابن عدنان وفر منكم إلى حيث الأمان، فلا أمان لكم بعد اليوم ولا استقرار.

الصاحبان مستقران في الغار والقلبان عامران بالإيمان ويقين رسول الله ﷺ مستقر بنصر الرحمن.

كان الشاب الفطن عبد الله بن أبي بكر يبيت ليله عند أبيه ونبيه وقبل أن تفيق قريش من نومها يكون بين ظهرانيهم يسمع "علومها" ويحفظ كلامها فيما يخص أمر الهاربين عن قبضت غطرسها لينقل ما يحدث ويُتَحدث به إلى الجالسان بشموخ في أعلى الجبل الذي شرف بضيافة خير البشر وصاحبه، فلا يأتيهما الشاب عبد الله إلا عند اختلاط الظلام.

وكـان مولى أبي بكر عمر بن فهير يروح عنـد الجبـل بغنيمات منائح ليسقيهم من لبنهن الطيب.

ولعل سائلا يسأل: أين ذهبت الراحلتان؟

أنـا اقول لك أيها العزيز: إن أبـا بكر (رَضِـــيَ اللهُ عَنْـهُ) رجل فطن ذكي تلميذ خير البرية ﷺ فقد ســـلم الراحلتين إلى أحد خبراء الصـحراء الذي يعرفها كما يعرف نسـبه وأمه وجده، إنه عبد الله بن أريقط وتواعد معه أن الرحلة في الموعد المحدد عند المكان المتفق عليه.

قريش يزداد غضـــبها وتنتفخ أوداجها، فلا خبر ولا أثر؛ أجل

، أثر علينـا أن نجـد من يقتفي لنـا الأثر هـذا هو الحـل المنتظر.

استأجر الكفار وعلى رأسهم رأس كفرهم أبا الحكم عمرو بن هشام وكيل إبليس من البشر.

جالوا وصـالوا وتوجهوا وجهات كثيرة يتبعون قصـاص الأثر حتى وصـــلوا جبلاً عار من الشـــجر ليس فيه إلا الحجر وليس على طريق يثرب ولا يمر به أحد.

صعدوا مسرعين حتى وصلوا الغار، وعند باب الغار دار الحوار، فأرسل الله سبحانه الملائكة يحرسون خليله ولقلوب وابصار الكفار يصرفون عن ابصار ما في الغار، ففي لمح البصر تلاوم الجمع قائلين: على ماذا كل هذا التوغل عكس التيار، هيا هلموا بنا نعود أدراجنا وعلى طريق يثرب نقص الأثر ولعلنا في تحقيق جديد داخل مكة نجد مرادنا.

انصرف القوم مسرعين ترافقهم لعنة ربّ العالمين لعدائهم خير المرسلين.

الصحاب يتنفس الصعداء وقلبه كان يخفق خوفًا على صاحبه، وفي لهفة قال: لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا.

قال له ﷺ : اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما.

مكث رسول الله ﷺ ثلاث ليال في الغار، فقد كان قد خرج من مكة وصاحبه معه في صفر في السابع والعشرين منه سنة أربع عشرة من البعثة النبوية.

دعونا الآن نطلع على سبب ببقاء الأسد الهصور وبطل أبطال الإسلام في مكة ولِمَ لم ويخرج مع ابن عمه مهاجرًا؟

نعم، عن علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) الكلام.

لم يجد الرسول ﷺ من هو أهل لتلك الأمانة الثقيلة والمهمة الكبيرة إلا عليًا، فتركه يواجه كل المصاعب والأخطار وهو بين جمع الكفار ليؤدي أمانات الناس من الاموال وغيرها التي كانت مستأمنة عند رسول الله ﷺ فالمهمة عظيمة ليست مجرد كلمات، فقام بها ذلك الشاب المغوار على أتم وجه وبأفضل صورة.

أما زعماء قريش، فلما يأسوا من القبض على غريمهم محمد ﷺ أعلنوا عن مائة من النوق الحسان لمن يأتي بالفارين او راسيهما، فسال لعاب كثير من الكلاب وتبعهم في اللهث عدد من الأذناب والطامحين لكسب المال على أي حساب، فأمر أبي بكر قد تم تأكيده أنه برفقة صاحبه بعد أن ذهب ابو جهل إلى بيت أبي بكر يسأل عنه وعن صاحبه، فلم تجبه أسماء بما يثلج صدره بل تكلمت معه بكلام أغضبه وكان الجهول رجلاً فاحشًا لا يراعي حرمة امرأة وحرمة الحرة لها مكانة عالية عند قريش، فلطم اللعين وجه الصبية حتى خر قرطها على الأرض من شدة اللطمة.

لله دركم يا آل أبي بكر كم أحببتكم نبيكم ﷺ وضحيتم من أجله ودينكم، وأخزى الله كل من بكلام سوء يتجرأ عليكم.

ينظر: السيرة النبوية الصحيحة - ٢٠٧

ينظر: إسعاد البرية - ٩٢

ينظر: ما شاع ولم يثبت - ٧٦ – ٧٨

ينظر: الرحيق المختوم - ١٦٣

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

مغادرة الغار

بعد انقضـــاء الأيام الثلاثة جاءهم دليلهم ابن أريقط وكان على دين قريش.

ركـب أبو بكر وأردف مولاه عـامر بن فهيرة واعتلى رسول الله ﷺ راحلته القصواء.

انطلق الركب المبارك وابن أريقط يســـير أمامهم على قدميه.

سـار الركب ليلته دون توقف و واصـلوا السـير حتى قام قائم الظهيرة متخذين طريق السـواحل، وهو طريق شـبه مهجور لا تمر فيه العير إلا قليلاً.

صـخرة طويلة لها ظل لم تأتِ عليها أشـعت الشـمس بعد تبرز أمام المهاجرين، فنزلوا عندها وقام أبو بكر بتسوية الأرض وتجهيز مكان ليرتاح رســـول الله ﷺ فيه ويأخذ قسطًا من النوم.

بعد أن أخذ رسـول الله ﷺ قسـطه من النوم مر بهم راع، فسقاهم لبنًا، ثم استأنفت الرحلة المباركة.

في مكة ما زالت نار الحقد تُأز ولا زال سادة القوم يطوفون يحرضون صائدي الجوائز والطامعين في الأموال على البحث عن المطلوبين لعدالة الظلمة.

سمع عثمان التيمي (أبي قحافة)، بالخبر، فجاء ليتفقد عيال ابنه وكان شيخًا كبيرًا عمى ولم يكن يومها قد أنعم الله تعالى عليه بالإسلام بعد، فسأل عن الأموال وهل ترك عبد الله ولده لعياله شيئًا من مال، فلم تكن الإجابة إلا بالتأكيد، فقد ترك لهم الوالد كنزًا فريد لا يمتلكه إلا ذو حظ عظيم، ترك لهم الإيمان بأن الله تعالى لن يضيع العبيد ما داموا له عابدين وعليه متوكلين وإياه سبحانه مستعينين، فبرهنوا للجد بكلمات فيها تعريض أن لديهم مما يقصد من النقد ذهبًا وورقًا معدود بيد أن الوالد حمل معه النقد كله يعين صاحبه ويستعين بعد الله به على الرحلة.

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

سباقُ صائدي الجوائز والوعدُ المُنَجَزُ

يا قوم قد رأيتهم، وأظنهم هم.

أومأت إحدى العيون بين الجمع الجالسين في أحد مجالس بني مدلج: أن اسكت ولا تكمل.

تبع العين الفم الذي تحرك فيه اللسان الفصيح لتدارك الأمر: إنما هم بنو فلان يقتفون ضالة لهم.

أجابه من أتى بالخبر ليؤكد تكذيب نفسه بنفسه أمام أهل النادي ويقول: لعله.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى قام ذلك الرجل صاحب العين المومئة واللسان الناطق بنفي خبر المطاردين الموسومة على من يردهم او يأتي بالرؤوس الجوائز الثمينة وانصرف الرجل إلى بيته مسرعًا، فأمر جاريته أن تأخذ فرسه السريعة الأصيلة ومن دون أن يلحظها أحد تجعل وقوفها في الوادي بعيدًا عن القوم، والسلاح أخرج من دبر الحجرة زيادة في الأمان.

أخذ الرجل القداح التي يتم الاستقسام بها كعادتهم تلك الأيام عند ما يهمون بأمر هام.

أظنكم عرفتم الرجل الذي ذاع صـــيته في أخبار الســـير وكتب التاريخ الإسلامي؛ أجل، سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، كان من أشـراف قومه وقاف للأثر لا يشـق له غبار.

ضـرب سـراقة بالقداح، فخرج له السـهم الذي يكره (لا يضـره)، لكنه مع ذلك أصـر واسـتمر، فركب الحصـان وحث الخطى منطلقًا، فتعثر الجواد ومنه الفارس سـقط؛ أعاد الاستقسام بأزلامه، فخرج السهم عينه (لا يضره)، لكن الطمع أعمى بصـــيرته، فعاد وركب دابته وأبى إلا اتباع الركب ورده ليحصل على الكسب.

ثم بدا لـه القوم ومنهم اقترب حتى أنـه ســـمع قراءة ابن الأكرمين ﷺ للقرآن وكان بأبي وأمي هو لا يلتفت على عكس أبي بكر (رَضِـــيَ اللهُ عَنْـهُ) كـان يكثر الالتفـات والتحديق حذرًا من أي مدرك، فالأول ﷺ لا يلتفت لأن اليقين مستقر في قلبه، فهو في معية ربه، والثاني في قلبه اليقين اســـتقر ومن إنجاز وعد ربـه متـأكد، لكن حبـه لصـــاحبه يدفعه للحذر الشـــديد حتى يكون هو الفدائي إن خطب منه اقترب.

ما كاد يصـــل ســـراقة حتى تعثرت فرســـه وقدمها في الأرض سـاخت، فتحرك قلبه قليلاً لكن اليقين اسـتقر عند

ما رأى الآية بعينه وتأكد من أمر الذي يتبعه ويريد برده الفوز بالمائة الإبل.

ساخت قوائم حصانه في الأرض، فزجره وشد عليه، فأخرج الحصان يديه من الرمال، فتبع خروجهما دخانًا مندفعًا كالإعصار، فعرف حين رأى ذلك أنه قد منع منه وأنه ظاهر، فنادى القوم معرفًا عن نفسه طالبًا منهم التريث ليكلمهم، فقال: أنا سراقة بن جعشم، انتظروني أكلمكم، فو الله لا أرييكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه.

جاءه الجواب من أبي بكر بتوجيه من رسول الله ﷺ : (وما تبغي منا؟).

قال سراقة في لهفة موجهًا كلامه لرسول الله ﷺ : أريد أن تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك.

كُتبَ لسراقة الكتاب وعاد أدراجه ولم يحدث بما حصل.

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٢٧٥

استراحة قصيرة

في بقعة من بقاء جزيرة العرب التي انتشـــر فيها خبر محمد ﷺ وراح يدوي كدوي النحل هناك خيمتان بعيدتان كل البعد تجلس في فناء احدها امرأة تنظر الطريق وترحب بالقادم النادر المرور إن مر، إنها الجلدة العربية الفصيحة أم معبد (عاتكة بنت خالد بن منقذ الخزاعية).

نزل ركب من راحلتين عليها يطلبون الســـقي منها بلبن، فاعتذرت منهم متعللة بجدب الســـنة وأنه لا يوجد عندها سوى شاة عجفاء حائل لا لبن فيها وباقي ما يملكون من بهيمة الأنعام (عُنيزات)، خرج بهنَّ زوجها.

كلمها أفصح الركب وانظرهم وأهيبهم وأعزهم طالبًا من المرأة أن تسمح له حلب تلك النعجة العجفاء.

أجابت بالموافقة مع حيرة واســـتغراب، ولســـان حالها يقول: كيف تحلب التي جف اللبن في ضرعها وبلغ الجهد منها كل مبلغ.

تقدم صاحب الخطوات الطيبة وتناول ضرع الشاة بيده الطاهرة المباركة ومسح عليه بيده، ثم طلب ما يضع فيه اللبن وبدأ الحلب، فدر اللبن وكثر حتى علت رغوته في

معجزة أذهلت تلك المرأة التي عرفت أن الرجل مبارك ليس كسائر البشر.

شرب مَن مع الرجل المبارك وشرب هو، ثم حلب حتى ملأ الإناء مرة أخرى وأعطاه العجوز وانطلق الركب في همة ناحية القصد المنشود.

عاد الزوج المتعب ليرأى اللبن الطازج، فسأل مستغربًا: من أين هذا وهم لا يملكون في بيتهم إلا تلك العجفاء؟

أجابته الزوجة وقصة له القصة ، فعرف أبو معبد مَن الرجل المبارك ذاك، وقال لزوجته مخبرًا أنه صاحب قريش الذي أعلنت في سبيل الإتيان به بذل النوق الحسان، وتمنى لو أنه قد أدركه لكان آمن به وصدقه، ثم أقسم أنه سيلحق به متى ما ظهر وعَرفَ له مستقر.

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

فصل في وصفه ﷺ

ولأن معرفة صفة الحبيب للمحب زيادة في الحب والشوق أفردت هذا الفصل البسيط اليسير الذي لا يفي حق الحبيب المصطفى والنبي المجتبى ﷺ لكن لعلي بخطي هذه الكلمات أعبر عن نزر لا يذكر من حبي لأحمد ﷺ.

عند ما كنت أبدأ بقراءة أحد كتب السيرة النبوية العطرة وأثناء فترة دراستها أتساءل وأنا أسابق شوقي وأسرع قبل بصري لاستراق الكلمات ومعرفة الأخبار، كيف كان لون بشرة رسول الله ﷺ ؟ هل هو طويل أم قصير؟ ذو شعر كثيف أصفر أم أحمر ؟ أهو بدين أم نحيف؟ والكثير من الأسئلة التي تشعل لهيب الاشتياق في داخلي، ولعلها لو حصلت في أول كتاب أقرأ من كتب السيرة وانتهى الأمر طبيعيًا لا اشكال فيه، فقد يتم الاشباع والاكتفاء من وصف مَن تحب إن عرفت أوصافه أو رأيته لبرهة، أما أن يزداد الشوق في كل مرة أقرأ فيها ما هو جديد علي من سيرته العطرة لهذا شرف لا أستحقه وفخر أعجز عن وصفه، ومعًا أيها الأحبة سنطلع على وصف بدر الزمان وقمر الأقمار صاحب مشكاة الهدى والمعلم الذي علمه العالم القدير وشرفنا بأن نكون من

أمته، وسقى قلوبنا بحبه والشوق له ومتابعته ليكتمل ديننا بذلك ونشرف بشفاعته.

هيا بنا نطلق الأعنة لأخيلتنا ونستمتع معًا بهذه الرحلة الطيبة ونحن نستعرض صفات خير من وصف من البشر حبيبي وحبيبكم الصادق الأمين المحمود في العالمين ﷺ

كان الحبيب ﷺ معتدل الطول وكانت بشرته بيضاء مشربة بالحمرة وهو أول سمار العرب وهذا اللون للبشرة ممدوح عند العرب، وكان بأبي وأمي هو عظيم أعضاء الجسم حسنها ورأسه عظيم وهذا مما تمدحه العرب لدلالته على الإدراك وعظمة صاحبه، وشعر رأسه ﷺ أسود اللون وكذلك لحيته سوداء، ويصل شعر رأسه في الطول إلى شحمة أذنه وقد يتركه يطول حتى يصل منكبيه، ولم يحلق رأسه إلا في الإحرام، ولم يكن يشعره جعدًا خشنًا ولا سبطًا شديد النعومة، بل في شعره تكسر وتثني قليل حسن جميل كشعور العرب، وكان ﷺ يسدل شعر رأسه ويفرقه أحيانًا وأيضًا قد قام بتظفيره؛ أما لحيته، فقد كانت كثة سوداء عريضة حتى أن الصحابة كانوا يعرفون أنه يقرأ في الصلاة من خلال ملاحظتهم تحرك لحيته وهم خلفه ﷺ

أما الأنف كان أقنى، أي: طويل الأنف مع دقة في الأرنبة وحدب في وسطه، وهذا من كمال الجمال يا أحبة.

وحبيبكم ﷺ واسع الجبين في حاجبيه تقوس وسبوغ، ولم يكونا متصلين مع بعضهما، واسع الفم وهذا عند العرب للحسن أتم، فهو ممدوح مطلوب لأنه دليل فصاحة وعذب كلام، وهل مثل سيد الأنام مَن أعطي جوامع الكلم والكلام، وداخل الثغر المبارك تصطف الأسنان سبحان الديان دون عيب ولا اعوجاج.

أما العنق الشريف، فما أجمله! وما أبهاه وأحلاه! كأنه صور من عاج.

مَن شُغفت قلوبكم بحبه ﷺ متناسق الأعضاء جميل التفاصيل لا بادن ولا نحيل، لا يرتفع صدره عن بطنه ولا بطنه عن صدره، فهو ممتلئ الجسد جميل القد شامخ القوام؛ ثدياه عاريان من الشعر وهو متوافر أعلى الصدر، وقضيب من الشعر ينزل من أعلى الصدر حتى أسفل، ليس شفيعنا ﷺ بالمترهل المتمايل، بل شديد العود مشدوده، عريض الكتفين طويل الزندين واسع الكفيين، فهو الكريم خليل الكريم؛ مسيح القدمين لا يمشي كالمتكبر ولا مثل الكسل المتململ، بل يقطع في مشيته ويرفع قدمه من الأرض، ثم يطأها بعزم.

عالي الهمة، لا يطيل النظر في السماء ويمشي بين الناس بتواضع واستحياء، كيف لا ومَن أدبه ورباه ربه تبارك وتعالى.

وجهه منير مضيء جميل تحبه العين ويرتاح له القلب.

كحيل العين شديد سوادها وشديد بياضها.

مهاب تنحني له القلوب قبل الأبدان احترامًا واجلالاً؛ راجح العقل جميل الصوت عذب المنطق طيب الرائحة كأنها المسك وظهره كقطعة الفضة بياضًا وصفاء.

إذا التفت، التفت بجميع بدنه وهذا من حسن خُلقه وفي ظهره علامة رسالته وخاتم نبوته شعرات بين كتفيه مثل بيضة الحمام.

هذا وصفه ﷺ بأكبر قدر من الاختصار، فلو ألفت المصنفات في وصف خَلقه وخُلقه لما أعطيناه شيئًا من حقه علينا، ونسأل الله أن يعذرنا لضعف همتنا وقلة حيلتنا.

ينظر: الشمائل المحمدية لأبي عيسى بن عيسى الترمذي.

وتستمر أعظم هجرة عرفتها البشرية.

في قلب الصحراء ورغم قسوتها على كل من يمر خلالها إلا أن الحبيب ﷺ ومن برفقته لم يعيهم شيء ولم يصدهم عائق، فهم محفوظون بحفظ الرحمن الرحيم.

نحن الآن في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة عشرة من البعثة النبوية وقد وصل خبر خروج الرسول ﷺ وصاحبه إلى يثرب، فاشتعلت أنوار الحب والاشتياق في قلوب مسلمي الأنصار وزادت القلوب خفقًا وأنارت وجوه المهاجرين الذين كانوا ينتظرون حبيبهم بفارغ الصبر، فالفريقان نفوسهم عطشى تبحث عن الري من ساقي الأرواح بالهداية.

أما اليهود، فقد التزموا الصمت في انتظار ما سوف يحصل ليبدؤوا كعادتهم ببث سمومهم ويوافقهم في موقفهم في الصمت مَن بقي على دين الوثنية من عرب يثرب.

كل يوم منذ وصول خبر خروج الرسول ﷺ مهاجرًا والشيب قبل الشباب والصغار والنساء في يثرب يخرجون خارج المدينة في موضع يعرف ب(الحرة)،

ينتظرون حتى تعلوا الشمس ولا يبقى ظل يستظلون به، ثم يعودون إلى بيوتهم ليعيدوا الكرة في اليوم التالي.

آن للانتظار أن ينتهي...

بعد أن علت شمس أحد أيام الانتظار وعاد المنتظرون من مهاجرين وأنصار اعتلى أحد أبناء يهود حصنًا لهم لأمر له، وإذا به يرى من بعيد قدوم المنتظر وصاحبه، فلم يتمالك نفسه وصرخ بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون. ويقصد بكلامه: هذا حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعون مجيئه.

انطلق الجميع؛ الشباب والشيب، النساء والأطفال، الكل يستقبل المنتظر المحفود بالحب.

طلع النور الذي أنار القلوب من الأفق البعيد وأحاط الأحبة بحبيبهم من كل حدب وصوب وهم يرحبون ويفرشون الأرض شوقًا وينثرون في السماء عَرف الترحيب

إلى هنا يكون كتابنا عن سيرة حبيبنا محمد ﷺ الخاص بالفترة المكية والهجرة المباركة إلى يثرب قد وصل النقطة التي نقول فيها: آن أوان الترجل الآن من على فرسنا البلقاء التي امتطيناها في هذه الرحلة العظيمة، فما

أجودها من فرس وما أطيبها من رحلة.. هذه ليست نهاية ككل نهايات الكتب إنما وقفت تأمل فيما مضـــى وملأ القلوب بعبق النبوة لتنير الأرواح، ثم الاســـتئناف واجب وامتطاء حصـــان كميت أصـــيل يكون قريبًا بإذن القوي المنـان للانطلاق بين قلاع الانتصـــارات الإســـلامية والدروس الربانية المنتقاة، فلنا قريبًا إن شـاء الله لقاء في كتاب جديد طيب نصـــل به ما بوصـــله تزدهر القلوب وتطيب النفوس.

ينظر: السيرة النبوية الصحيحة - ٢١٧ – ٢١٨

ينظر: فقه السيرة النبوية للغزالي - ١٢٩

ينظر: السيرة النبوية للصلابي - ٢٧٧

لي قبيل ختام هذا الكتاب كلام...

أيها الإخوة والأخوات أبدأ بحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا مباركًا فيه حتى يبلغ الحمد منتهاه وأصلي وأسلم على خير خلق الله وعلى آله وصحبه.

إن أعداء هذا الدين أذكياء ملاعين لا يكلون ولا يملون ولا يبخلون في السعي لهدم دينكم الإسلام وضربه في مقتل زعموا واخزاهم الله تعالى، فراحوا يستخدمون الحيل والتحايل ويبذلون الوسع كل البذل وقد لاحظتم حفظكم الرحمن اشهارهم مؤخرًا لسلاحهم القديم المتجدد ورميهم به كل ما له علاقة بالرسول وسيرته العطرة أو سنته المطهرة وسيرة صحابته الكرام من إثارة لشبهات وطعن في روايات لذاك أنصحكم نصيحة محب لكم في الله تعالى، لا تنجروا وراء الشبهات، فهي محاولات بائسة لهدم عقيدتكم وتشكيككم بتوحيدكم من خلال التشكيك بسيرة شمس الدجا ﷺ تارة أو الطعن بالنجوم العالية في سماء الإسلام الصحابة والآل الكرام، وخير وسيلة لمحقهم مدحورين هو الاطلاع على السير والأخبار وتتبع الصحيح منها والطيب المختار من رائع الكلام ونشره بين الإخوة والأصدقاء حتى تنالوا الأجر مرتين، والأهم بعد ما تقدم من مهم أيها الكرام تطبيق

هدي المصـــطفى العدنان ﷺ والأخذ بما أمر واجتناب ما نهى عنـه وزجر وهدي صـــحابتـه الأبرار وزوجاتـه الطـاهرات أمهاتنـا الغاليات، واغلاق كل بـاب للفتن ولا تتبعوا تلك الأصـوات النشـاز، اقتلوها بإعراضـكم عنها وبالتفقه في دينكم.

أســـأل القدير الجليل أن يرزقني وكل من قرأ هذا الكتاب أو ســاهم في نشـره بين المسـلمين بأي طريقة مشـروعة الفوز برحمة ربّ العالمين يوم الموقف العظيم وبشـفاعة إمام المتقين أبي القاسـم ﷺ وأن ينال شـربة ماء من يديه الشريفتين لا يظمأ بعدها أبدًا.

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

قائمة المصادر

1- القرآن الكريم كلام ربّ العالمين تبارك وتعالى:

السور: الحجر، الإسراء، الشعراء، فصلت، الأحقاف، النجم، الجن، المدثر، القيامة، العلق، الهمزة، الكوثر، المسد.

2- السنة النبوية المطهرة ثاني الوحيين:

- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦)/ دار ابن كثير / دمشق – بيروت / الطبعة الأولى ١٤٢٣ – ٢٠٠٢ م - دمشق – حلبوني – جادة ابن سينا- بناء الجابي .

- صحيح الظمآن إلى زوائد ابن حبان مضمومًا إليه (الزوائد على الموارد)، ومعه الفهارس/ بقلم العلامة المحدث: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، رحمه الله تعالى- دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض – المظلكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠٢ م

- دلائل النبوة للحافظ الكبير أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠)، حققه الدكتور محمد رواس قلعجي وعبد البر

عباس / الناشـر: دار النفائس – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٠٦ – ١٩٨٦ م

3- كتب السير والغازي:

1- السيرة النبوية لابن هشام المتوفى ٢١٣ أو ٢١٨ من الهجرة - علق عليه وخرج أحاديثه و وضع فهارسها: أ. د. عمر عبد السلام تدمري أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية - الناشـر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٠ من الهجرة ١٩٩٠ م

2- الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبي الحسن الخثعمي السُّهيلي المتوفى ٥٨١ ومعه السيرة النبوية للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري المتوفى ٢١٣ - علق عليه ووضع حواشيه: مجدي منصور بن سيد الشورى - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

3- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - تأليف الدكتور علي محمد الصلابي- دار المعرفة - بيروت – لبنان - الطبعة السابعة ١٤٢٩- ٢٠٠٨م

4- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية (٥٧١ – ٦٩١)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة.

5- صحيح السيرة النبوية (ما صح من سيرة رسول الله ﷺ وذكر أيامه وغزواته والوفود إليه)، للحافظ ابن كثير بقلم: محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى - المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن.

6- فقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي - دار الشروق.

7- السيرة النبوية الصحيحة (محاولة تطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية)، تأليف الدكتور أكرم ضياء العمري - الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - الطبعة السادسة - ١٤١٥- ١٩٩٤م

8- إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية تقديم سماحة الشيخ وحيد بن عبد السلام بالي – تأليف د. خالد بن محمود الجهني / مكتبة التقوى للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر.

9- الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية - تأليف فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري - الجامعة السلفية – الهند - وزارة الاوقاف والشؤون الدينية – إدارة الشؤون الإسلامية – دولة قطر.

10- الفصول في اختصار سيرة الرسول - تأليف: الحافظ ابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي - حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الحميد محمد الدرويش- قامت بالإشراف على الطباعة: دار النوادر – شركة دار النوادر الكويتية – ذ. م. م – الكويت - ١٤٣١ – ٢٠١٠م

11- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية - تأليف: محمد بن عبد الله القوشن - الناشر: دار طيبة.

12- الفتوح الرحمانية في شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية للإمام ابن العز الحنفي - شرح: الشيخ الدكتور وليد بن إدريس المنيسي - الجامعة الإسلامية بمنيسوتا.

13- صور من حياة الصحابة - تأليف: د. عبد الرحمن رأفت الباشا - الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت – لبنان- الطبعة الأولى ١٤١٢ – ١٩٩٢م

14- الشـــمائل المحمدية - تأليف: أبو عيســـى محمد بن عيســى بن ســورة الترمذي - حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عصام موسى هادي- الناشر: دار الصديق للنشر – الجيل – المملكة العربية الســـعودية - الطبعة الخامســـة ١٤٣٦ – ٢٠١٥ م

15- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤)، طبعت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح قامت بها هيئة بإشراف مكتبة المعارف - بيروت - ١٤١٠ - ١٩٩٠م

16- التاريخ الإسـلامي - ٢ - السـيرة - محمود شـاكر- المكتبة الإسلامية.

4- كتب التاريخ الإسلامي:

1- تـاريخ الطبري (تـاريخ الرســـل والملوك)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت – ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م

2- تاريخ الإســلام ووفيات المشــاهير والأعلام لمؤرخ الإســـلام؛ شـــمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت – ٧٤٨ هـــــ - ١٣٧٤ م)، تحقيق:

الدكتور: بشـــار عواد معروف – الناشـــر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ٢٠٠٣ م

3- جمهرة النســـب لأبي المُنذر؛ هشـــام بن محمد بن السائب الكلبي (ت – ٢٠٤ هـــ)، رواية السُّكَري عن ابن حَبيب – تحقيق: الدكتور ناجي حسن – الناشر: عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية للنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

4- التاريخ الإسلامي - ٢ - السيرة - محمود شاكر- المكتبة الإسلامية.

إنَّ أفضلَ ما يُدرَسُ بعدَ القرآنِ الكريم، وسنةِ النبي العظيم ﷺ كتبُ السيرةِ النبويةِ - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم - لما تحتويهِ من أُحداثِ حياةِ أعظم مَن تميّز بالإنسانية المتكاملة، والدين الكامل، هو - بأبي وأمي والنّاس أجمع - اجتمع فيهِ؛ كلّ ممدوح ومحمود، من خَلقٍ وخُلقٍ.

لذا حري بكلّ مسلم ومسلمة، معرفة سيرة حبيبه ﷺ، والاطلاع على أيامهِ وأخبارهِ، فسيرتهُ ليست حكاية تُحكى، ولا رواية تُروى، إنّها منهاجُ حياةٍ، ومشكاة نجاةٍ.

هذا دُرٌّ منثور من خبرِ سيدِ البلغاء قائدِ الأشداء، بطل الأبطال، الشهم الهمام، الطاهر المطهر، والأسد المظفر، والعلم الذي في رأسهِ نور سطعَ وانتشر، فهُدي بهِ مَن اتبع، وسقط في غياهب الظلال والهلاكِ مَن لنورهِ منع.

هذهِ سيرة مَن كملت صفاتهُ ﷺ.

هذهِ سيرة مَن أنار ظلمات العالم بصوتهِ ﷺ.

هذه سيرة خيرِ الأنام ﷺ.

هذهِ سيرة خليل الرحمن ﷺ.

تصميم أسماء فرغل